مناوشات بريئة

الفرعونيّة...

تجلّيّات معاصرة

بقلم: الطّاهر اعمارة الأدغم

مناوشات بريئة

الفرعونية...

تجلّيّات معاصرة

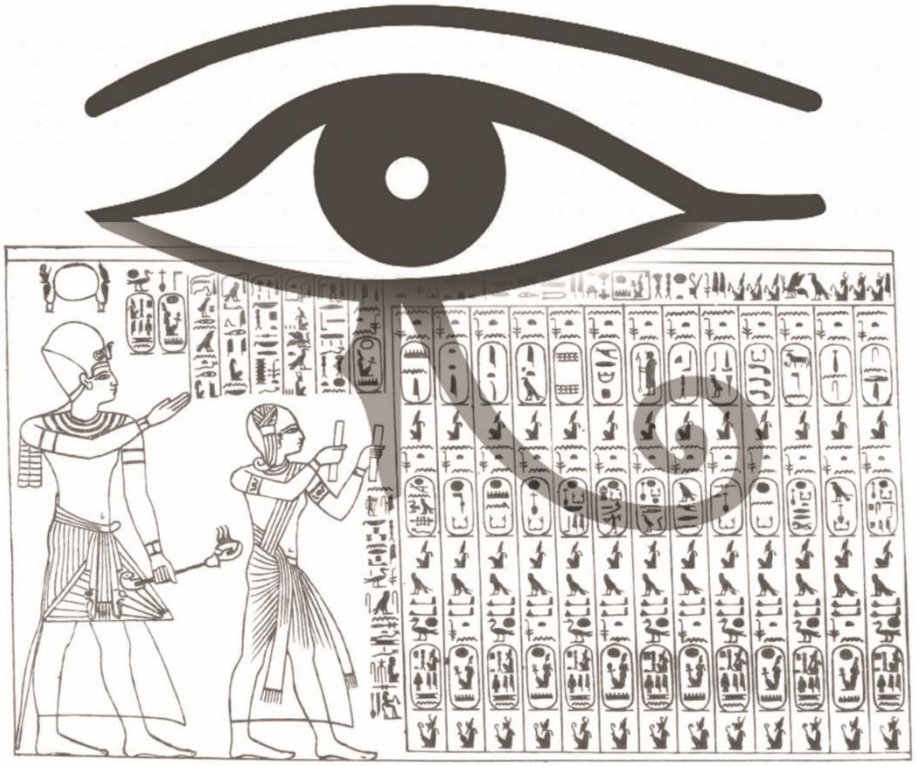

بقلم: الطّاهر اعمارة الأدغم

عنوان الكتاب: الفرعونيّة.. تجلّيات معاصرة

Pharaonic... Contemporary revelations

الكاتب: الطّاهر اعمارة الأدغم

Tahir Amara Ladghem

الموضوع الرئيسيّ: سياسي

عدد الصّفحات: 92 صفحة

قياس الصّفحة: 14.5سم * 20.5 سم

ISBN: 978-9931-650-98-0

الإيداع القانوني: مارس 2020

الطّبعة الأولى

رجب 1441هـ / مارس 2020 م

يَٰقَوۡمِ
لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩

إهداء

إلى زميلي مازن.. الصّحفيّ المصريّ العِصاميّ..
كانت زمالة وتحوّلت إلى صداقة.. رغم عدد من الفروق المعتبرة..

ولكن..
بعد انقلاب الفريق أوّل عبد الفتّاح السّيسي في الثّالث من يوليو / جويلية 2013 على الرّئيس المنتخب الدّكتور محمّد مرسي: اختار مازن الموقفَ الخاطئَ في نظري.. واخترتُ الموقفَ الخاطئَ في نظره..

إلى الصّحفيّين والكتّاب الذين انحازوا إلى الجهة المعاكسة لخيارات الشّعوب وتطلّعاتها في الحريّة والحكم الرّاشد... والأمل يحدوني أنّهم سيقابلون في مساراتهم ما يكفي من الإشارات والدّلائل.. ومن ثَمّ العودة إلى الطّريق الأصوب..

وقبل وبعد:
إلى أصحاب الأقلام الجريئة الذين اختاروا الوقوف مع خيارات الشّعوب في الحريّة والكرامة والعدالة الاجتماعيّة..

مقدمة

مصر هي أمّ الدّنيا.. هكذا يسمّيها أهلها.. وهي كذلك، ولو نسبيّا..
إنّها في تقديري ليست كأيّ بلد عربيّ أو إسلاميّ أو إفريقيّ..
مصر ستظّل أمّ الدنيا وسننظر إليها كذلك حتى لو استغلّ البعضُ هذه الكُنْية العظيمة واستعملها في غير سياقها..
نعم.. إنّها مصر إحدى دُرر العالَمَيْن العربيّ والإسلاميّ، إن لم تكن الدّرة الأبرز والأجمل فيه..
نعم.. نتحدّث عن جزائر التضحيّات وبلد المليون ونصف المليون شهيد.. بلد الثّورة التي علّمت الأحرار صورا جديدة للحريّة والكرامة، أو أعطت لتعريفات الحريّة ونماذجها أبعادا أخرى.. نعم.. تحيا الجزائر.. تحيا بلاد الشّهداء..
ونتحدّث عن دول الشّمال الإفريقيّ: تونس والمغرب الاقصى وموريتانيا وليبيا بالنبّرة ذاتها، والاعتزاز نفسه الذي نتحدّث به عن الجزائر..
ونتحدّث عن أرض الجزيرة العربيّة وما فيها من مقدّسات وتاريخ وأصالة وقيم ما زالت حاضرة في دنيا النّاس اليوم.. شبه الجزيرة المقسّمة الآن بين عدّة دول، وما كان لها أن تقبل القسمة على أكثر من واحد.. لكنّها دورة من دورات الزّمن..
ونتحدّث عن بلاد الشّام وقلبها النابض فلسطين وبيت المقدس... الشّام ودرّته دمشق حيث تتقاطع الحضارات والثّقافات مع الطّبيعة السّاحرة..
ونتحدّث عن العراق العظيم وبلاد الرّافدين والعمق الحضاريّ الممتدّ لآلاف السّنين.. ونتحدّث عن السّودان حيث الثّروات والخيرات.. بوّابة إفريقيا التّي

ترتبط بمصر تاريخا وجغرافيا وثقافة وثروة.. وقبل ذلك وبعده عبر ذلك العَطاء الربّاني الخالد: نهر النّيل..

ونتحدّث عن بلدان عربيّة أخرى: عن اليمن السّعيد والحكمة.. وعن لبنان ذلك البلد الصّغير العجيب المتعدّد الأعراق والطّوائف والأديان والمذاهب.. بلد "تكمنُ قوّته في ضعفه" كما وصفه بعضُ أهله..

ونتحدّث عن تركيا الحاضر والماضي.. ونتحدّث عن إيران وباكستان وأفغانستان، ثم بلاد المالاوي حيث ماليزيا وإندونيسيا وما حولهما..

ونتحدّث عن نيجيريا المساحة والثّروات والطّاقات البشريّة الكامنة في قلب إفريقيا.. ونتحدّث عن الصّومال الذّي يطلّ شامخا على المحيط الهنديّ ومن هناك إلى الهند والصّين..

نتحدّث عن كلّ تلك الدّول والشّعوب وغيرها.. لكنّ الحديث عن مصر يختلف عن غيره.. إنها خزّان أكبر من أن يوصف..

فعندما كانت الجزائر تعيش لياليها الحالكة مع سنوات ضعف الحكم العثمانيّ ثم بدايات الاحتلال الفرنسيّ الغاشم.. حينها كانت مصر ترسل طلاّبها تِباعا إلى عدد من دول أوروبا..

وعندما كان منطق القبيلة والزّعامة يحكم الكثيرين في عالمنا العربيّ، عرفت مصر التّمثيل النيابيّ عام 1866.. وقبل ذلك أيضا حين أسّس محمد علي باشا المجلس العالي عام 1824..

فضائل مصر عديدة ومتنوّعة.. وتكفينا الإشارة إلى تلك المنارة الشّامخة والرّاسخة على امتداد أكثر من عشرة قرون: الأزهر الشّريف..

وعليه..

عندما نبكي وَأْد التجربة الديمقراطيّة في مصر، فإنّنا نبكي الأمّة كلّها...

وهكذا كان المشهد مؤلما في تلك اللّيلة اللّيلاء ونحن نتابع عبر الشّاشات انقلابا عسكريّا مكتمل الأركان..

الألم والحزن لم يكن من أجل الرّئيس الدّكتور محمّد مرسي.. ولم يكن من أجل عيون جماعة الإخوان المسلمين كما يُقال.. كان لأجل سواد عُيون الحريّة والديمقراطيّة والتّجديد والتّغيير نحو الأفضل..

ومن هذا الإحساس والشّعور والألم كانت مقالاتي أقرب إلى الزّفرات..

أَشْهُرٌ حزينةٌ أعقبت ما سُمّي ظلما وعدوانا بـ (ثورة 30 يونيو).. ومن ثمّ الانقلاب على أوّل رئيس مدنيّ منتخب في تاريخ مصر العامرة بعلمائها وأدبائها وأخيارها..

ظهرت هذه المقالات على صفحات جريدة (صوت الأحرار) وهي جريدة قريبة من حزب السّلطة في الجزائر آنذاك، أو هي صوته غير المعلن صراحة.. وكنتُ ضمن عدد من الكتّاب نحرّر صفحة أسبوعيّة عنوانها (اتّجاهات) بدعوة من مسؤول النّشر، العمود الفقري للجريدة، السّيد نذير بِلّقرون.. وكان عنوان مقالي الثّابت (مناوشات بريئة)..

والحقيقة أنّ صدر السيد بلقرون قد اتّسع لهذه الصفحة، لكنّ ما كتبتُه بعد الانقلاب على الرّئيس محمد مرسي في مصر كان فوق طاقة السّيد المحترم..

وللحقيقة أيضا فقد كنتُ أكتب عن مصر وعيني على الجزائر.. فقد كنّا في الهمّ سواء كما يُقال.. فالاستبداد واحد وإن تباينت مظاهره.. والفساد كذلك وإن ظهر بأنماط هناك وأخرى هنا..

توقّفت صفحةُ "اتّجاهات" في منتصف عام 2014 بعد أكثر من ستّ سنوات من الظّهور المنتظم.. وساق السّيد نذير عدّة أسباب لهذا التوقّف، ومنها: استغلالي للصّفحة بشكل غير معقول أثناء الكتابة عن مصر، ونحن، كما قال، جريدة تسير في ركب الحكومة والنّظام القائم بشكل أو بآخر.. قال تلك الكلمات على استحياء..

وعليه: أوجّه شكري الجزيل للسيد نذير بِلّقرون، الصحفيّ والمدير.. وإلى طاقم جريدة صوت الأحرار.. هذا العنوان المقتبس من النّضال الإعلاميّ خلال سنوات الحركة الوطنيّة التي سبقت ثورة نوفمبر المجيدة..

وأخيرا..

هل كنتُ موضوعيّا في مقالاتي بعد انقلاب عبد الفتّاح السّيسي على الرّئيس المنتخب الدّكتور محمّد مرسي، رحمه الله...؟؟؟

لا أدري...

لكنّ ما أتذكّره بوضوح تامّ أنّ الأمر كان فوق طاقتي.. فقد كنتُ، كغيري، أتابع معاول الهدم الوحشيّة وهي تهوي بلا رحمة على تجربة ديمقراطيّة ما زالت في مرحلة الأساسات.. في المرحلة الجنينيّة.. تجربةٌ لم تمثّل أمل المصريّين وحدهم...

إنّها أمل أمّة تتلمّس طريقها في صحراء التّيه منذ عقود طويلة..

ومصر هي أمّ الدنيا، وهي قبل ذلك أمّ هذه الأمّة..

الطاهر بن اعمارة الأدغم / وادي سوف، الجزائر

25 يناير (جانفي) 2020 م / 30 جمادي الأولى 1441هـ

-1-

جريمة قتل الجنين.. ما أبشعها...!!

التّصريحات والمواقف المقزّزة كثيرة في المشهد المصريّ خلال أزمة إسقاط الرّئيس المنتخب محمّد مرسي، لكنّ أكثر ما يثير الغثيان في نظري هو ظهور عمرو موسى، وأمثاله، في واجهة الأحداث، وكأنّهم أبطال يدافعون عن الشّعب المصريّ، ويذودون عن مصالحه وكرامته.. إنّه مشهد تمثيليّ قلّ ما (يجود) الزّمان بمثله في الرّداءة والوقاحة وقلّة الحياء من النّفس والآخرين.

إنّ الرّسائل تُقرأ من عناوينها كما تعوّد النّاس على اختلاف ثقافاتهم ولغاتهم وبلدانهم وأزمانهم.. وهكذا تستدعي قراءة المشهد المصريّ الحاليّ النّظر بداية إلى العناوين لنَجِد على رأسها عمرو موسى، ومحمّد البرادعي، وبعض رموز القضاء الملوّثين بالفساد، ووجوه إعلاميّة سبق لها أن زكّت عهد مبارك جملة وتفصيلا وحاولت تهيئة الأرضيّة المناسبة لتوريث الحكم للابن في نظام جمهوريّ، وأَضِف إلى هؤلاء بعض أهل الفنّ الذين لا يعرفون شيئا عن السّياسة وأحوال الشّعب لأنّ جلّ أوقاتهم بين المكياج وتصفيف الشّعر وعمليّات التّجميل والسّهرات والحفلات الرّاقصة، وغيرهم ممن يشترك مع هؤلاء في تلك الصّفة القبيحة المنفّرة وهي الأنانيّة التي تُعمي عن رؤية أيّ شيء سوى المنافع الذاتيّة، وهكذا يتولّد لديهم الاستعداد التّام لعبادة من يحقّق لهم ما يريدون.

الاخراج المتدرّج لأحداث عزل الرّئيس المنتخب الدّكتور محمّد مرسي كان واضحا، ولسنا في حاجة إلى ذكاء شديد أو سماع محلّلين سياسيّين كبار لنعرف أنّ الهدف كان واضحا من البداية وهو عرقلة المسيرة الجديدة بأيّ شكل من الأشكال..

نعم.. لقد عرف معارضو الرّئيس مرسي الهدف وهو وضع العصيّ في الدّواليب حتى تتوقّف العجلة عن الدّوران، وهكذا لم يعدموا الوسائل ولم يزهدوا في أيّ منها مهما كانت درجة سفالتها وحقارتها.. وفي الأخير ألبسوها رداء المطالب الشعبيّة وحشدوا ودفعوا الأموال الطّائلة وحرّكوا جميع بحافلهم

الإعلاميّة التي صنعوها أيّام حكم مبارك.. واكتمل المشهد بالتدخّل العسكريّ حيث الدبّابات والأحذية الثّقيلة.

يتساءل البعض عن سرّ قدرة هؤلاء على حشد ملايين النّاس في الميادين والسّاحات، ولعلّ الجواب يكمن في العودة إلى الشّهور الأخيرة لحكم الرّئيس اليمنيّ المخلوع علي عبد الله صالح عندما كان يفاوض لأجل خروج آمن، وهناك اشترط الحصانة لستّمائة من أركان حكمه، والأمر ذاته تكّرر مع الرّئيس السّوري بشّار الأسد عندما اشترط تأمين خروج خمسمائة شخص معه ليسلّم السّلطة... فمن هؤلاء؟؟

إنّهم المتورّطون المباشرون في الفساد والظّلم والقتل والتعذيب وإذلال الشّعب والقضاء على قِيَمه حتّى يتحوّل إلى قطيع يقوده الاستبداد والفساد بكلّ سلاسة.

تلك الأرقام تتناسب مع الحجم السّكاني لكلّ من سوريا واليمن، أما مصر فإنّ العدد أكبر بكثير، ولعلّه يصل إلى عدّة آلاف...!!

فأين هم الآن إذا عرفنا أنّ أعداد القابعين وراء القضبان أو الممنوعين من السّفر متواضعة جدّا عند المقارنة بحجم الفساد والظّلم الذي عانت منه مصر على مدى ثلاثين سنة...؟؟

إذا كانت دائرة التورّط المباشر مع نظام مبارك تصل إلى عدّة آلاف، فإنّ الذين يلُونَهم قد يفوقون مئات الآلاف وهم المنتفعون من ريع الفساد والاستبداد، وأصحاب المناصب، في جميع القطاعات، الذين يفضّلون السّلامة و(أكل العِيش) ويرفضون أيّ إصلاح أو احتجاج على الوضع القائم...!!

وبعد ذلك تأتي الدّائرة الثّالثة وقد يصل عددها إلى الملايين من الذين ارتضوا العيش تحت الأحذية والأكل من فتات الكبار والشّرب من بقايا كؤوسهم، وهكذا لا يرون لأنفسهم سوى هذا الباب من الرّزق، ومن هناك سوف يدافعون عن الحالة القائمة، أو يحنّون إليها ويسعون لعودتها كما حدث مع مظاهرات إسقاط الرئيس محمد مرسي...!!

الذين سبق ذكرهم هل يستحقّون مجرّد اللّوم أو التقريع...؟؟ لا وألف لا.. إنّ شأنهم أقلّ من هذا المستوى بكثير...

لكنّ عيون العقلاء تبكي دمًا على أصحاب الفكر، وذلك الشّباب الذي ينادي بالديمقراطيّة ويتحدّث عن أفكارٍ تنويريّة...!!

كيف وقع هؤلاء في المصيدة حتّى وصلوا إلى هذا العار الذي ما بعده عار...؟؟

إن القتل جريمة مهما كان عمر القتيل، لكنّ الجريمة ستكون أشدّ إيلاما للنّفوس السويّة عندما يكون القتيل جنينا...!!

إنّه جنين الديمقراطيّة الذي تنتظره الشّعوب العربيّة من مصر الحضارة والثّقافة والتّاريخ.. إنّه الجنين الذي تطلّعنا إليه طويلا ولم يكن من أولويّاتنا معرفة شكله أو لونه.. فالمهمّ أن يحدث الحمل وينزل الوليد إلى دنيانا، ثم يترعرع فينشر الأمل من جديد بعد ليل الاستبداد والفساد الطّويل.

مرة أخرى... لا حاجة إلى لوْم رموز الفساد والنّفعيّين والوصوليّين لأنّهم يعبّرون عن درجة متردّية من الرّداءة والانحطاط، لكنّ اللّوم موجّه إلى (الدّيمقراطيّين) الذين هلّلوا للانقلاب العسكريّ وفرحوا بنزول الدّبّابات

والرّشّاشات إلى الشّوارع، وراح بعضهم يبرّر ما حدث ويصفه بالاستجابة لمطالب جماهير الشّعب...!!

إن مشكلة (الديمقراطيّين) في مصر تتعدّى الرّئيس مرسي وجماعة الإخوان المسلمين والشّعب المصري، وتصل إلى التّاريخ والمعاجم اللّغوية وأهل الفكر والفلسفة، لأنّ تعريف الديمقراطيّة قد صار في حاجة إلى مراجعة شاملة بعد (الاجتهاد) الديمقراطيّ المصريّ العظيم...!! وما جادت به قرائحُ المتحدّثين باسم جبهة الإنقاذ الوطنيّ وشباب حركة (تمرّد) في محاولاتهم اليائسة لقلب الحقائق والهروب من شبح الانقلاب العسكريّ الذي تورّطوا فيه.

إن العبرة بالمسمّيات، لا بالأسماء، ومهما حاول (الديمقراطيّون) الفكاك من تهمة الانقلاب فلا مفرّ...

وهكذا فليتذكّروا طوال حياتهم أنّهم شاركوا في جريمة منظّمة وبشعة تتآزر فيها دول عربيّة وأجنبيّة..

جريمة قتل معنويّات الأمّة من جديد وترسيخ قناعات خاطئة في ذاكرتها الجمعيّة، وهي أنها أمّة لا يمكن أن تعيش أجواء الديمقراطيّة، ولا ينبغي لها أن تعرف التّداول السّلميّ على السّلطة...!!!

2013-07-07

-2-

مصر .. كلُّ إناء بما فيه يرشح

قلت لصديقي الأكاديميّ المثقّف: المليارات الخليجيّة التي تهاطلت على مصر سوف تفعل الكثير في واقع البلد وحياة النّاس.. ردّ ببساطة: لن تفعل شيئا لأنّها ستقع في الأيدي ذاتها والذّهنيّات والنفسيّات التي فشلت طوال ثلاثين عاما في دفع مصر إلى الأمام.. إنها تركيبة بشريّة لا تملك أيّ نيّة لخدمة الشّعب، وتاريخها الحافل بالنّهب والسّلب دليل ساطع.

صديقي ليس من الإخوان المسلمين، وأكثر من ذلك ربّما أمكنني تصنيفه ضمن خصوم الإخوان، ولن أجد في ذلك أيّ غضاضة من الناحية الشّكليّة، لأنّه ينتمي إلى حزب سياسي على خصومة شبه دائمة مع امتدادات حركة الإخوان المسلمين في الجزائر، وإذا شئنا التخفيف فهي منافَسة مستمرّة.. لكن الفكر غلب على صديقي وتفوّق على روح التحزّب، وهكذا راح ينظر بحيادية إلى الأحداث الجارية في مصر...

وجوهرها كما يرى: الاعتداء على الديمقراطيّة وإرادة الشّعب وليس على الإخوان المسلمين والرّئيس المنتخب محمّد مرسي، ومن ثم تأخير الإقلاع الحضاريّ للأمّة فترة من الزّمن.. ذلك الإقلاع الذي يمرّ حتما عبر بوابة (ثقافة وتقاليد) حلّ الخلافات عبر الصّناديق الشّفّافة، وليس من خلال الدّبّابات والمدافع والرشّاشات، كما فعل عمرو موسى ومحمّد البرادعي وغيرهم من (الديمقراطيّين) المصريّين..

مليارات الدولارات الموعودة لمصر يمكن أن تفعل الكثير لو وجدت الأيادي الأمينة والنّفوس والعقول الكبيرة..

لكن وآسفاه...

لا يبدو في الأفق أيّ شيء مما سبق.. فهل يُستأمن على مليارات الخليج ذلك (المكيافيليّ) الذي أخرج مسرحيّة أسلحة الدّمار الشّامل العراقيّة وأشرف على عقد القران الأمريكي الإيراني في العراق، ويمشي الآن بين النّاس دون حياء وكأنّه لم يساهم في دمار بلد عربيّ وقَتْل وتشريد الملايين...؟؟

وهل يُستأمن عليها عرّاب الجامعة العربيّة طيلة عقد كامل، حيث كان يخرج علينا بعد كلّ قمّة بكلام ممجوج وسخيف عن النّجاحات والإنجازات، دون أن يفكّر مرّة في الحياء من نفسه، وحين أزفت ساعة رحليه من الأمانة العامة صنع لنفسه مكافأة ضخمة من مال العرب (نهاية الخدمة).. وأيّ خدمة من الأساس...؟؟

حقّا.. إذا لم تستح فاصنع ما شئت...!!

وهل يُستأمن على مليارات الخليج ذلك الرّهط من السياسيّين والقضاة والإعلاميّين الذين عاشوا في كنف حكم مبارك سنين طويلة، وانتفخت بطونهم وجيوبهم وحساباتهم البنكيّة على حساب المواطن المصريّ الكادح...؟؟

إن مصر اليوم في مفترق طرق خطير بعد أن باتت عودة الوجوه البائسة القديمة مسألة وقت فقط.. طبعا إذا سارت الأحداث في الاتّجاه الذي يخطّط له العسكر والقضاء والإعلام الفاسد، ومِن ورائهم قوى غربيّة وعربيّة..

وإذا عادت تلك الوجوه فإنّها على استعداد كامل للرّكض نحو الماضي بكل ما فيه من مظاهر تخلّف واستبداد.. ولعل ما حدث بعد الانقلاب العسكريّ مباشرة يشير إلى هذا السياق، من خلال إيقاف القنوات الفضائيّة واعتقال الإعلاميّين والسياسيّين، وافتعال العمليّات الإرهابيّة ورمي الخصم بكل النّقائص والمثالب...!!

إنّ الوجوه القديمة مهيّأة لإعادة سيناريوهات العنف والتفجيرات وإشعال فتيل الفتنة بين المسلمين والمسيحيّين عبر الضرب هنا وهناك.. لأنها لا تحسن العيش إلا في المستنقعات والمياه الرّاكدة...!! وقد أثبتت دائما أنّها مع العنف

والإرهاب والضّغط على المعارضين حتى ينفجروا، ومن ثم تنشط حالات الفوضى والقتل وتنتعش قوانين الطّوارئ.

وتزداد خطورة الحالة المصريّة الآن عندما نتيقّن أنّ الغرب، والولايات المتّحدة على وجه التحديد، لن يتورّع عن الدّخول في لعبة استنزاف كبيرة لمصر، وإن لم يسمح عمليّا بفوضى عارمة تؤثر على أمن واستقرار دولة إسرائيل.. والأمر نفسه سيجد هوى لدى أنظمة عربيّة تَرهب التغيير والتجديد وتسعى جاهدة لتأخير أيّ انطلاقة حقيقيّة في مصر أو غيرها.

إنّ الانقلاب العسكريّ في مصر جريمة كبرى في حق الشّعوب العربيّة جمعاء، ومن حقّ أصحاب الشّرعيّة أن يغضبوا إلى أبعد الحدود.. لكنّهم مدعوون، بعد امتصاص الصّدمة الأولى، إلى التعقّل والحكمة وبُعْد النّظر، لأنّ الطّرف المقابل ليس لديه ما يخسره، ولن يذرف دمعة واحدة على مصر وهو يجرّها إلى هاوية سحيقة، وسوف تحتاج بعد ذلك إلى جهد ووقت لتعود إلى السطح من جديد.. كما أنّ الجهات المؤيّدة للرّئيس المنتخب محمّد مرسي مدعوّة إلى مراجعة مسيرتها لأنّها غير معصومة من الأخطاء، وحتى الخطايا.

وعودة إلى المليارات الخليجيّة من زاوية أخرى.. فقد استعمل مناوئو الرئيس محمّد مرسي جميع الوسائل لتشويه صورته ومنها أنّه رجل أمريكا في مصر...!! لأجل دغدغة عواطف المصريّين..

والحقيقة أنّ هذا الأمر في غاية الوقاحة والسّخافة خاصة بالنّسبة لأولئك الذين ما زالوا يتحدّثون به إلى الآن عبر الفضائيّات.

فإذا كان الرّئيس مرسي هو رجل أمريكا في مصر فهذا يعني أنّ السّيسي والبرادعي وعمرو موسى هم أعداؤها...!! وبالتّالي فإنّ مليارات الخليج، السعوديّة والإمارات والكويت، وصلت لدعم الاتّجاه المعادي للولايات المتّحدة...!!

وهذا يعني أنّ تغييرا جذريّا قد حصل في المنطقة الخليجيّة...!! بل في العالم كلّه حيث فقدت واشنطن حلفاءها التقليديّين، ولا نريد أن نقول شيئا آخر..

وهذا الحدث ليس عاديّا على الإطلاق، لأنّه يعادل في الحقيقة تحوّلات كبرى شهدها العالم مثل سقوط جدار برلين وتفكّك الاتّحاد السوفيتي وانفراط عقد حلف وارسو وهجمات الحادي عشر من سبتمبر ...!!

إنّ الذين يروّجون لمثل هذه الدّعايات والمغالطات يمتلكون مقادير عالية من قلّة الحياء والكذب والانتهازيّة.. وسيكون هذا دأبهم وهم يتصرّفون في مليارات الخليج.. لأنّ (كلّ إناء بما فيه يرشح)..

وقد رشَح هؤلاء بما يعرفه المواطن المصريّ عنهم.. إنّها مقدّمات تؤدي إلى نتائج لا أكثر ولا أقلّ.

2013-07-14

-3-

مصر .. الفوضى الخلّاقة

تألّق مصطلح الفوضى الخلاّقة بعد فترة من الغزو الأمريكيّ للعراق عندما انتشرت فِرقُ الموت في بلاد الرّافدين وراجت أخبارٌ أنّها مدعومة أمريكيّا، أو مسكوت عنها على الأقلّ، وفي المقابل كان لها بُعدها الدّينيّ الطائفيّ حيث رأى فيها البعضُ بشارةً بِقُرب ظهور المهدي المنتظر الذي يخرج على النّاس بعد انعدام الأمن.

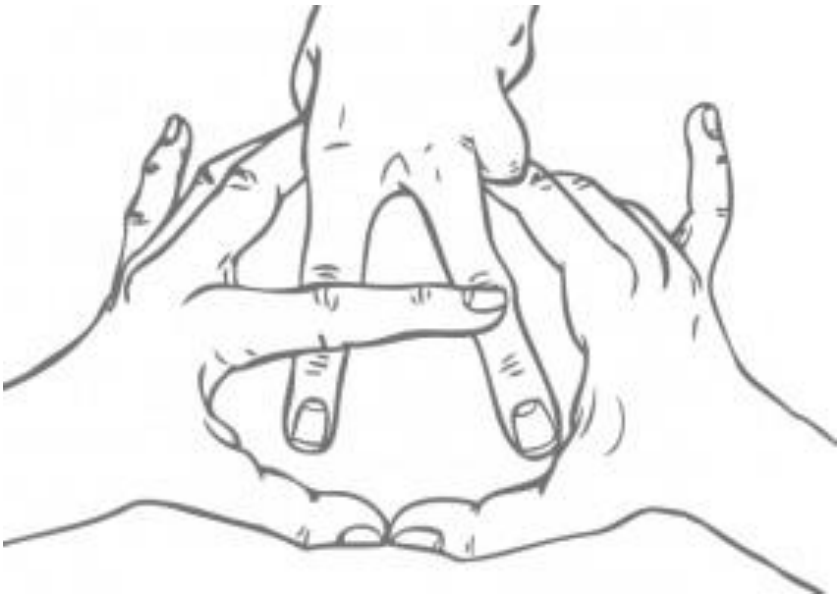

وفي شهر أبريل، نيسان، عام 2005 أدلت وزيرة الخارجيّة الأمريكية آنذاك كونداليزا رايس بحديث لصحيفة (واشنطن بوست) ذكرت فيه مصطلح الفوضى الخلّاقة، وهي حالة من الدّمار والخراب المتعمّد والمفتعل تؤدّي لاحقا إلى حالة سياسيّة واجتماعيّة مريحة، أو هكذا يعتقد أصحاب هذا المنحى الخطير من التّفكير.

يتحدّث البعض عن هذه الفوضى الخلّاقة في مصر هذه الأيام، ويتّهمون بعض أنصار الرّئيس المنتخب محمّد مرسي بلعب دور رئيسيّ في هذا الشّأن، حيث يتحرّك هؤلاء لخلط الأوراق وإدخال البلاد في حالة من الفوضى، ومن هناك يسهل على الولايات المتّحدة الأمريكيّة التدخّل في مصر والمنطقة وتطبيق خريطة الشّرق الأوسط الكبير التّي تمّ الإعلان عنها قبل سنوات ولم يُكتب لها النّجاح حينها، لأنّ الفشل والتخبّط الأمريكيّ في العراق أعاق أيّ تقدّم في هذا السّياق.

ربّما يكون هذا الطرح صحيحا، لكنّ من زاوية أخرى: حيث يتسبّب وصول إحدى الجماعات الإسلاميّة إلى الحكم في تقسيم الشّارع المصريّ بشكل حادّ كما هو الآن، لأنّ لوبيّات المصالح ستتحرّك بقوّة وتوظّف معها الخصوم الأيديولوجيّين للإسلاميّين، ومن ثمّ تنزلق المظاهرات والاحتجاجات السلميّة إلى مسارات عنيفة، لتصل إلى محطّة الفوضى الخلّاقة..

لكنّ هذا الاحتمال غير وارد عندما نضع في حساباتنا رصيد الوعي واليقظة الكامنة في أعماق الشّعب المصريّ، بكلّ طوائفه وأطيافه السياسيّة والفكريّة، وهكذا سوف تتحوّل المعارك الكلاميّة والاستعراضات الميدانيّة إلى حوارات

جادّة تنقّب عن الحلّ وتبعد شبح الفتنة والفوضى الخلّاقة، وهذا بعد أن يدرك الجميع أنّ الهوّة السّحيقة لم تعد بعيدة، وأن السّقوط فيها سيشمل الجميع دون استثناء، حتّى الذين اعتزلوا الأحداث ووقفوا على الحياد ينتظرون الرابح ليصطفّوا خلفه.

تلك هي الفوضى الخلّاقة التي ربّما خطّطت لها الولايات المتّحدة في مصر.. لكنّ المفارقة في مصر، ما بعد الانقلاب على الشرعيّة الانتخابيّة، هي ظهور الفوضى الخلاّقة بصور وأساليب متعدّدة، مضحكة ومبكيّة...!!

لقد أبدعت فيها المجموعات الانقلابيّة عندما راحت تدافع عن سلوكها الشّائن بكلّ شراسة حتى فقدت صوابها، فراحت تهرف بما لا تعرف.

أحد قادة حركة تمرّد كان وجهه من صفيح على ما يبدو، فقد قال إنّ مؤيّدي الرّئيس مرسي سيستمرّون حتى يوم كذا وكذا، ثم تشتبك معهم الشّرطة ويختلط الحابل بالنّابل وتصبح مصر مثل سوريا، وعندها نتدخّل أمريكا لإنقاذ حليفها مرسي...!!

هذه هي الفوضى الخلّاقة... إنّها وجوه مصبوغة بطبقة سميكة من الطّلاء، كما يقال عندنا في الجزائر.

الموقف الأمريكيّ المرحّب بالانقلاب، وحلفاء أمريكا الذين هرولوا بملياراتهم، والبرادعي وعمرو موسى ونجيب سويرس وتصريحاته...!!

ومع ذلك يظلّ مرسي صديق أمريكا في تصريحات عرّابي الانقلاب...!!

لمن هذا الكلام..؟؟؟

نعم إنها الفوضى الخلّاقة عندما يصبح البرادعي عدوّا لأمريكا ومرسي خادما لها...!! إنها الفوضى الخلّاقة عندما يكون الانقلابيّون مع أمريكا وضدّها في الوقت ذاته...!!

إبداع قلّ من يحسنه في هذا العالم.. إلا هذا الرهط من الانقلابيّين المصريين...!!

الفوضى الخلّاقة ظهرت بِجَلاء عندما كان القائد (المتمرّد) معلّقا عبر قناة الجزيرة على أحداث ميدان رمسيس بوسط القاهرة: إنّ أعلام تنظيم القاعدة هناك فوق الجسر.. يا سلام...!! إنها الفوضى الخلّاقة فعلا.. فها هي القاعدة تهجر خطّها العنيف وتنتهج مسلك المظاهرات السلميّة.. متى حدث هذا أيّها العبقريّ...؟؟

الفوضى الخلّاقة في تصريحات الانقلابيّين كانت مقزّزة جدا: تسويّة الرّئيس مرسي بالرّئيس المخلوع حسني مبارك.. تسويّة عام واحد من حكم منقوص بثلاثين عامًا من الحكم الشّموليّ.. تسويّة حزب لم يحكم بعد، وإن حاول (الأَخْوَنة) كما يقولون، بحزب استحوذ على كلّ شيء في البلاد.. تسويّة الثّلاثين من يونيو بالخامس والعشرين من يناير.. إنّها فوضى خلّاقة.

يتحدّثون عن أكثر من ثلاثين مليون مصريّ تظاهروا في يوم واحد لإسقاط الرّئيس...!! إنّها فوضى خلّاقة فعلا.. كيف انتقل هؤلاء...؟؟ وماذا أكلوا...؟؟ وأين جلسوا...؟؟ وكيف احتموا من حرّ الشّمس...؟؟ وكم عدد الحافلات التي أقلّتهم...؟؟ وأين الاختناقات المروريّة، بل الشّلل التّام في طول البلاد وعرضها بسبب تحرّك ثلث الشّعب المصريّ في يوم واحد...؟؟؟

لقد تحدّث الكاتب المعروف محمّد حسنين هيكل في أحد كتبه عن حرب الخليج الثانيّة وكيف وصل إلى أراضي السّعودية نصف مليون جنديّ أمريكيّ، وغيرهم، وقال الرّجل إنّ نقل وإيواء هؤلاء صار من القضايا التي تدرّس ضمن مسائل الإدارة الآن.. فهي ليست عمليّة عسكرية فقط.. فليخرج علينا هيكل ويشرح لنا كيف نظّمت جبهة الإنقاذ أكثر من ثلاثين مليون مصري...؟؟؟

إنّها فوضى خَلاّقة.. بقايا الشيّوعية، أدعياء الديمقراطيّة، الليبراليّون، بعض الإسلاميّين، الأزهر الرّسميّ، الكنيسة، الجيش، الفُلول، الفنّانون من أصحاب الدّخل العالي والعيش الرّغيد، الصحفيّون من ذوي الأجور الخياليّة، رجال الأعمال...!! اجتمعوا جميعا ضدّ الرّئيس المنتخَب...!!

إنّها الفوضى الخلاّقة في مصر هذه الأيّام.. ومع ذلك نتفاءل أن تؤدّي فعلا إلى ما هو أفضل.. أن يتناطح الجميع في الميادين ليصلوا إلى يقين راسخ أنّ الحلّ في الوفاق وبناء قيم التّفاهم والتعايش والاحتكام إلى الصّناديق.. أتمنّى أن يُعيدوا الشّرعية عبر التوافق..

لتبدأ مرحلة جديدة من المصالحة الوطنيّة الشّاملة التي لا تقصي أحدا.. لأنّ جميع الفرقاء يشربون من نِيل واحد، وليس في مقدور أيّ فريق رميَ خصومه خارج الحدود.

2013-07-21

4

الفرعونيّة.. تجلّيات معاصرة

مَن قال إنّ الرّئيس المصريّ محمّد مرسي وجماعته وقعوا في عشرة أخطاء جسيمة، وساق لذلك الأدلّة والبراهين القطعيّة.. نقول له إنّك مخطئ على الإطلاق.. فليس في حصيلة مرسي هذه الأخطاء العشرة فقط، بل وصل إلى المائة.. ومن جاء بأدلّة ساطعة على مائة زلّة وقع فيها مرسي وجماعته، قلنا له لقد أخطأت أيضا.. ضَاعِف العدد لأنّ أخطاء الرّجل أكثر وأكثر..

إخفاقات الرئيس محمّد مرسي وحزب الحريّة والعدالة، ومن ورائهما جماعة الإخوان المسلمين، تشغل حيّزا معتبرا من أحاديث ونقاشات وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة، كما تُسوّد صحائف كثيرة من جرائدنا في العالم العربيّ، وكأنّنا في فرنسا التي مضى على ثورتها أكثر من مائتي سنة، أو في بريطانيا حيث التّقاليد الديمقراطيّة المتجذّرة.. وهكذا يكون الحديث مستساغا عن الأخطاء والنّتائج المترتّبة عليها.

لكنّ الأمر مختلف تماما في مصر وبلدان عربيّة أخرى، لأنّ جوهر القضيّة هو عمليّة التحوّل التي تتشكّل ملامحها منذ سنوات، وتعاني عمليّات جذب شديدة إلى الوراء من خلال ممارسات عتيقة أكل الدهر عليها وشرب، وعبر سياسات وسياسيّين وعسكريّين ينتمون إلى عقود ماضية كان فيها الصوت الواحد مقبولا، وإقصاء الآخر وقهره يمرّ دون أن يسمع أحد.

وفي الحالة المصريةّ الرّاهنة، على وجه التّحديد، يتجاوز الأمر الخلافات السياسيّة العاديّة، أو حتى العنيفة، إلى حالة من التفكير (الفرعونيّ) الشاذّ الذي يستحوذ على الحقيقة كاملة ولا يرى للآخرين حقّا في مجرّد الحلم بها، فضلا عن الاقتراب منها...!!

إنّها الفرعونيّة التي صوّرها القرآن الكريم بإيجاز وبلاغة: (ما أُريكم إلاّ ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرّشاد).

إنّ (الأنا) أمر فطريّ في البشر، ولكي تتطوّر البشريّة لا بد من تدافع الأفكار والمذاهب.. لكنّ المشكلة تبدأ عندما تتضخّم الأنانيّة فتصل إلى مستويّات مرعبة، وعندها لا يرى المُصاب بهذا المرض إلا نفسه وفكره وفئته

ومصالحه وامتيازاته، ثم يزداد التّضخّم أكثر وأكثر فيعيب ذلك المُصاب على الآخرين أفكارهم ومسالكهم ويطلب منهم أن يروا كلّ شيء من خلال النّقطة التي يقف عليها، ثم الويل لمن يخالف...!!

إنّنا في زمن الإعلام الحرّ والرّأي والرّأي الآخر، ومع ذلك يمارس إعلاميّون مصريّون فرعونيّة حديثة...!!

وهكذا تتغيّر أحكامهم وتفسيراتهم لمجريات الأحداث بين عشيّة وضحاها...!!

فقروض ومساعدات قطر وتركيا، أيّام حكم الدّكتور محمّد مرسي، مذلّة وتسوّل لا يليق بكبرياء مصر وعظمة شعبها...!!

أما مِنَح وعَطَايا الإمارات والكويت والسعوديّة فهي أموال نظيفة ومساعي حميدة لدعم الشّعب المصريّ وإخراجه من أتون الفقر والحرمان...!!!

وتبلغ الوقاحة حدّها عندما زعم أحدهم أنّ الشّعب المصريّ مرتاح للأموال الخليجيّة المُصَاحِبَة للانقلاب العسكريّ، بينما كان مرتابا ممّا وصل من قطر وتركيا...!!

زعم ذلك بمجرّد الإعلان عن حزمة المساعدات، وقبل أن يرى الشعبُ المصريّ دولارا واحدا على أرض الواقع من خلال رغيف الخبز أو غيره من ضروريّات الحياة...!!

وتستمرّ الفرعونيّة الإعلاميّة عندما يُوجَّه الاتهامُ إلى المعتصمين في ميدان رابعة العدويّة ونهضة مصر، أهل الشرعيّة، بإعاقة حركة المرور وتعكير حياة السّكان وتعطيل الاقتصاد.. لكنّ عودة سريعة إلى الأرشيف الإعلاميّ الفرعونيّ سوف تكشف لنا أنّ اعتصامات ميدان التّحرير المناوئة للرئيس

مرسي كانت حريّةَ تعبيرٍ وديمقراطيةً وواجبًا وطنيّا، وربما دفعت الاقتصادَ إلى الأمام وأسعدت السّكان القريبين من ميدان التحرير...!!

أخطاء الشّرطة في عهد مرسي قابَلها الإعلام الفرعونيّ بحملات عنيفة، لكنّ سقوط العشرات من أنصار الشّرعيّة قرب الحرس الجمهوريّ وأماكن أخرى، ومضايقات الأمن والجيش، تمرّ كلّهاّ مرور الكِرام في برامج الإعلاميّين الفراعنة، وأكثر من ذلك يجتهد الفكر والخيال المريض في التّشويه وتحويل الضّحية إلى جلاّد...!!

الإعلاميُّ الفرعونيّ ملأ الدّنيا ضجيجا حول مسوّدة الدستور في عهد مرسي، ونَعَت الدّستور بالمسلوق لأنّ إعداده استغرق ستّة أشهر فقط.. أما مع الانقلابيّين فلا ضَيْر أن تكمل لجنة إصلاح الدّستور مهامها في شهر، مع العلم أنها مخوّلة بتعديل أي قدر من المواد ولو شملت الّدستور كلّه...!!

النّظرة الفرعونيّة المعاصرة رأت في خروج النّساء إلى مظاهرات إعادة الشّرعيّة دروعا بشريّة وإهانة للمرأة المصريّة ودفعا بها إلى المخاطر.. أمّا في المظاهرات المناهضة للرّئيس مرسي: فالمرأة هي المصريّة العظيمة والسّند القويّ للرّجال والنّصف الآخر للمجتمع الذيّ يستحيل الاستغناء عنه...!!

نحن في زمن التعدّديّة السّياسيّة بامتياز، ونتابع كيف تتعايش الشّعوب رغم الخلافات والتباينات الداخليّة الكبيرة، لكنّ الفرعونيّة السّياسيّة تأبى على الآخر أيّ حق في أن يجرّب ويساهم في صناعة القرار، فضلا عن أن يحكم بِسَلاسَة ويحوز على فرصته كاملة في السّنوات التي فوّضه فيها صندوق الانتخاب...!!

وهكذا تتوالى الضّربات والعراقيل وتتصاعد حملات التّشويه إلى أن تصل إلى حدّ التّهديد بتعطيل المسيرة كاملة..

إنّها عقليّة فرعون.. أن يرى الآخرون ما يرى، وإن لم يفعلوا دمّر عليهم كلّ شيء...!!

لقد تحدّث بعض العقلاء المصريّين مع أحد منظّري، أو مدبّري، الانقلاب وهو كاتب وصحفيّ معروف، فكان من بين ردوده أنّ الأمر انتهى وسوف نعطي للإخوان خمسة عشر في المائة خلال الانتخابات البرلمانيّة القادمة...!! وكان ردّ العقلاء أنّ الصّندوق قد يعطيهم خمسة في المائة وقد يعطيهم خمسين.. وهذه هي الديمقراطيّة.. فردّ الرجل: الدولة أهمّ من الديمقراطيّة...!!

تجلّت الفرعونيّة أيضا، وبوضوح أشدّ، في خطاب الفريق أوّل عبد الفّتاح السّيسي، قائد الانقلاب، عندما راح يتحدّث باستعلاء وتكبّر.. وأنّه قال للرّئيس أنّ الأمر يجب أن يكون كذا وكذا، وأنّ عليه أن يتحدّث في الخطاب على هذا النحو أو ذاك...!!

تحدّث السّيسي بلهجة من يملك الحقيقة كاملة.. وهكذا تصرّف أيضا لأنّه سرعان ما لجأ إلى رمي مخالفيه بالعنف والإرهاب ودعا إلى استئصالهم كما فعل الفرعون القديم.. وراح ينفذّ المجازر بدم بارد.

2013-07-28

5

تونس ومصر.. العنوان والتّفاصيل

لم يعلن الطّبيب حالة الوفاة بعد، ولم تتأكّد الأسرة من أنّ النّائب والمعارض التّونسي محمّد البراهمي قد فارق الحياة، والقاتلُ نفسه لم يَعرف بعد إن كان قد نجح في مهمّته بالكامل أم لا.. ومع ذلك تعالت أصواتٌ وتنادت أحزاب وشخصيّات وأجمعت على ضرورة النّزول إلى الشّوارع حتى إسقاط حكومة الائتلاف وإنهاء المجلس التأسيسيّ المنتخب.

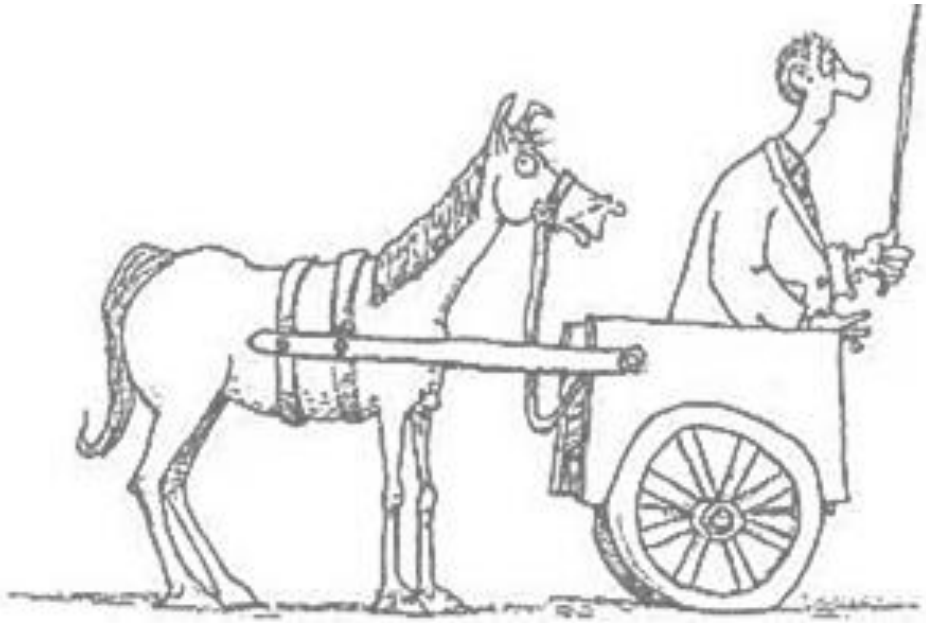

وفق قاعدة الأديبة البريطانيّة "أجاثا كريستي" صاحبة الرّوايات البوليسيّة الشّهيرة: (ابحث عن المستفيد)...؟؟ نجد أنفسنا في حيرة فعلا، لأنّ المستفيدين المباشرين من حادثة اغتيال محمّد البراهمي، وقبله شكري بلّعيد، هم أعضاء تلك التّشكيلة التي تقف في وجه المجموعة التي أفرزها الصّندوق الشّفّاف.

ومع ذلك سوف نتخلّص بسهولة من فكرة أنّ تلك التّشكيلة وراء عمليّة الاغتيال لأكثر من سبب.. لكنّنا لا نجد مبرّرا لحالة النّفير العام والاندفاع والانتهازيّة، وكأنّ (القوم) ينتظرون مثل هذه الفرص بفارغ الصّبر، ويُمَنّون النّفس بها.. وربّما شكروا القاتل، وعصابته، من أعماق قلوبهم بعد أن قدّم لهم خدمةً جليلةً قلّ أن تجود الأيام بمثلها...!!

ردّ فعل هؤلاء ملفت للنّظر فعلا، ولعلّ في الإمكان تشبيهه ببيت شعر يقول صاحبه:

أسكر بالأمس إن عزمتُ على *** الشّرب غداً إنّ ذا من العجب

وهذا هو حال هؤلاء فعلا، حيث حضّروا أنفسهم وأعدّوا العدّة بالأمس، مع أنّ حادثة الاغتيال ستكون غدا...!!

والعجب لا يكفي هنا لأنّ الأمر لا يتعلّق بكأس خمر كما هو الحال مع ذلك الشّاعر..

الحال يستدعي أكثر من العجب.. حيث الشكّ فيما يحدث وما تخطّط له هذه الجهة أو تلك من تشكيلات المعارضة التي ازدهرت بعد الثّورات التي أطاحت برؤوس الاستبداد...؟؟ معارضةٌ لا تعرف حدودا واضحة لأنّها لا

تخاف دفع الثّمن؛ فالسّلطة القائمة لا تحسن القمعَ ولو وَسْوَس الشّيطان لها بذلك.

المعارضة حقّ، بل واجب، لأنّها الطّرف الثّاني في معادلة الحكم، ومن خلالها يتحقّق التّوازن، وهي صمّام أمان أمام أيّ جنوح محتمل للسّلطة القائمة..

لكنّ لهذه المعارضة منظومة من القيم والتّقاليد الدّيمقراطيّة التي تجعلها بنّاءة وإيجابيّة.. إنّها تدفع الحكومةَ إلى مزيد من الصّواب والخدمة وتدارك النّقائص وسدّ الثّغرات.. ولا ضيْر في أن تستغلّ تحرّكاتها لتضيف نقاطا إلى رصيدها الانتخابيّ، وهكذا تقوّي حظوظها في النّجاح خلال مواعيد الصّندوق اللاّحقة.

لكن ما شاهدناه في مصر، بعد وصول الدّكتور محمّد مرسي لسدّة الرّئاسة، وتونس، بعد تولّي (الترويكا) مقاليد السّلطة، هو معارضة من نوع غريب جدّا، حيث عمدت من الأيّام الأولى إلى عرقلة المسيرة كلّها وتهيئة الأجواء لدورة متكاملة من الفشل العامّ، وساعدها في ذلك بقايا عهود الاستبداد المنتشرين في مختلف مؤسّسات الدّولة، خاصة الأمن والقضاء والإعلام.

لقد بلغت المعارضةُ في تونس ومصر درجة عالية من الشحّ حين استكثرت على الحكّام الجدد حقّهم في الفشل خلال المدّة التي فوّضهم الشعب فيها...!! مع أن هؤلاء المعارضين قد أعطوا لأنفسهم الحقّ في الفشل عقودا طويلة من الزّمن...!! سواء بالحكم في حالة البعض، أو تأييد الاستبداد والفشل والفساد في حالات أخرى، أو السّكوت والعجز عند آخرين.

أُعطوهم الحقّ في الفشل وسيتولّى الشّعب إزاحتهم في الانتخابات الموالية دون الوقوع في خطيئة تأييد الانقلابات العسكريّة والدّخول في مغامرات ضدّ

صناديق الانتخاب وإرادة الشّعوب، ومن ثمّ العيش في حالة الانفصام القاتلة، حين نتابع التشدّق بالديمقراطيّة ثم مناصبة العداء لها جهارا نهارا، والتخبّط بعد ذلك في تفسير ما يحدث وتبرير الحماقات والسّخافات...!!

قالت لي زميلة صحفيّة تونسيّة مرّة إنّها قابلت الأستاذ راشد الغنّوشي، رئيس حزب النّهضة التونسيّ، وقالت له إنّها تريد أن يتعلّم أبناؤها في جامعات راقيّة مثل الجامعات البريطانيّة كما تعلّم أبناء الغنّوشي، حيث كان الرّجل منفيّا لسنوات طويلة...!!

كلام غاية في الطّموح لو كان في سياقه الصحيح، وضمن الآمال العريضة للشّعب التونسيّ بمختلف فعالياته السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة.. لكنّه مؤلم للغاية، لأنّه جاء من قبيل التّعجيز وطلب المستحيل...!!

أي أنّك وصلت إلى الحكم، ولو عبر ائتلاف، فالمطلوب منك أن تحوّل تونس إلى بريطانيا أخرى في المغرب العربي خلال أيّام فقط...!! وإلا فأنت فاشل، ولا تستحقّ الطّرد من الحكم فقط، بل اللّعن والنّفي من الأرض...!!!

إنّه حال هؤلاء المعارضين سواء كانوا من رجال السّياسة أو الإعلام في مصر وتونس.. حيث المطلوب من الرّئيس أو الحزب الذي لا يتّفق مع أيديولوجيّاتهم أن يصنع المعجزات ويحلّ مشاكل عشرات السّنين خلال شهور معدودة...!! وإذا لم تحدث المعجزة أقاموا الدّنيا ولم يقعدوها وحرّكوا إمبراطوريّات الإعلام والمال الفاسد وتحالفوا مع عتاة شياطين الإنس، وربّما الجنّ، حتى يقطعوا سياق التّجربة الوليدة ويضعوا العربة من جديد أمام الحصان.

أعجبني موقف الدّكتور محمّد الهاشميّ الحامديّ، السياسيّ والإعلاميّ التونسيّ صاحب قناة المستقلّة، عندما أعلن أنّه ضدّ حركة النّهضة في تونس، لكنّه ضدّ الانقلابات والمعارضات الانتهازيّة.. ثم أطلق الرجل حملة (بالانتخاب لا بالانقلاب)، وعارض حلّ المجلس التأسيسيّ التونسيّ لأنّ في ذلك عودة إلى الوراء وبتر للتجربة الديمقراطيّة.

إنّ ما حدث، ويحدث، في مصر وتونس له عنوان رئيسيّ واحد هو: الصّراع بين عهدين متباينين: ما قبل البوعزيزيّ رحمه الله، وما بعده.. محاولات تغيير حقيقيّ في المشهد العربيّ الراهن.. ولا أعتقد أنّ هناك خلافا حول هذا العنوان بين العقلاء والوطنيّين المخلصين.. وما عدا هذا فهو مجرّد تفاصيل يسهل الاختلاف حولها: أخطأ مرسي هنا وهناك، وأخفق الائتلاف الحاكم في تونس في هذا الموضع أو ذاك.. والنظر من هذه الزّاوية أفضل من تلك.. وهلمّ جرّا..

2013-08-04

6
مصر.. كِذْبَة يونيو

مشاهد قتل وحرق وتنكيل شهدتها مصر خلال وبعد فضّ الاعتصامات المؤيّدة للشرعيّة.. اعتقالات بالجملة وإهانات لقامات سياسيّة لها وزنها الوطنيّ والدوليّ.. إطلاق نار على صحفيّين وتضييق على الحريّات العامّة.. ممارسات وتصرّفات أمنيّة لا تليق بمرحلة ما بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير.. ومع ذلك فكلّ ما حدث مبرّر ومقبول، بل ومطلوب بإلحاح...!!

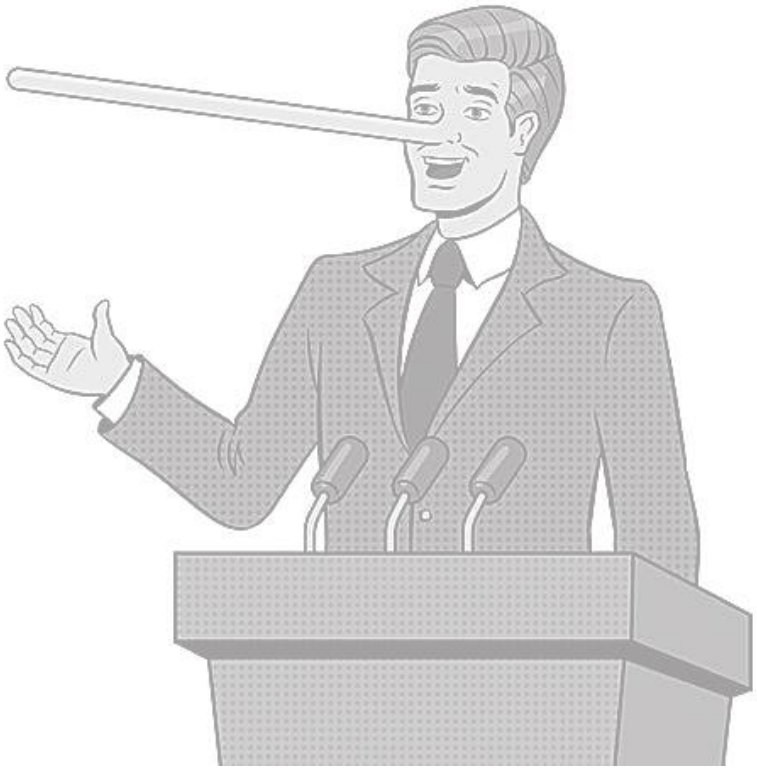

التبرير سهل للغاية ولا يحتاج إلى أدلّة حقيقيّة أو مراوغات سياسيّة بارعة، وهكذا لم أستسغ أحاديث المؤيّدين للانقلاب العسكريّ وهم يحاولون التّقليل من أعداد الضّحايا في صفوف المعارضين للانقلاب، أو نسبة أحداث القتل والحرق إلى جهات أخرى غير الأمن والجيش وبلطجيّة الحزب الحاكم الأسبق...!!

لم أهضم التهرّب من المسؤوليّة الكاملة عمّا حدث في ميدانيْ رابعة العدويّة والنّهضة، ولم أتفهّم سرّ الخوف من التصريح بالقتل العمديّ المباشر لعدد كبير من المعتقلين المُرَحّلين إلى السّجن، وقبلهم مجازر المنصّة والحرس الجمهوريّ...؟؟

كنتُ، ولا زلتُ، أنتظر مواقف رجوليّة كاملة من قادة الانقلاب العسكريّ والنّخب اليساريّة والعلمانيّة والإسلاميّة التي وقفت إلى جانبهم.. وهذه المواقف تتلخّص في كلمة واحدة: من حقّنا أن نقتل المعارضين ونصفّيهم معنويّا وجسديّا بكل الوسائل والأساليب الممكنة.. نعم هذا هو عين الصّواب بعدما احتكرتم الحقيقة وأطلقتم أبواق إعلامكم المسعورة طوال هذه الأسابيع وصوّرتم أنصار الرّئيس المنتخب محمّد مرسي على أنهم الخطر الدّاهم الذي لا يحدّق بمصر وشعبها فقط، بل بالعرب والمسلمين وسكّان الأرض، ثم يتعدّاهم إلى المرّيخ وكواكب أخرى، إن ثبت أن هناك مخلوقات أخرى تعيش هناك...!!!

لا حاجة إلى الاعتذار أو التبرير.. فالأمر أكبر من ذلك.. إنّه الفخر أمام العالم كلّه بحربكم على الإرهاب وحماية الإنس والجنّ من خطر الإخوان المسلمين وأنصار الشرعية والمنادين بالديمقراطيّة، بعد أن أثبت إعلام الانقلاب

أنّ هؤلاء، مهما كان عددهم، جراثيم ضارّة ينبغي التخلّص منها، ولا سبيل سوى ذلك...!!

لكن.. ما الذي يمنع تلك الشرذمة الإعلاميّة والسياسيّة من قول الحقيقة..؟؟

لا مانع سوى الإحساس الداخليّ بحجم الأكاذيب التّي أسّسوا عليها انقلابهم وثورتهم المزعومة على الرّئيس المنتخب، وما راح يتوالد بعد ذلك من افتراءات وحملات تزييف للحقائق.. ومن ثمّ يجدون أنفسهم دائما في موقف المدافع والمبرّر والمهزوم والمضطرب والمتناقض، خاصة إذا كان الحوار أو الحديث مع قناة إخباريّة تحترم نفسها ومشاهديها.

لقد بدأت أمّ الأكاذيب في مظاهرات الثّلاثين من يونيو عندما زعم الدّاعون إليها أنّ الاستجابة وصلت إلى ثلاثين مليون مصريّ.. أي ثلث الشّعب...!!

وهي كذبة وقحة جدّا، لأنّ عمليّة حسابيّة بسيطة حول عدد النّساء والأطفال وأفراد الجيش والشرطة وسكان القرى والأرياف النائيّة، تثبت أن خروج هذا العدد كان من نسج الخيال.. ولو خرج هذا العدد فعلا فهذا يعني أنّ الرئيس محمّد مرسي وأنصاره وجماعته أيضا كانوا ضمن هؤلاء المتظاهرين الدّاعين لإسقاط الرّئيس المنتخب...!!!

لقد ظلّت الرموز المؤيّدة للانقلاب تردّد هذا الرّقم الكبير، ولعلّها كانت في حاجة إلى إقناع المناصرين قبل المعارضين حتى لا ينهدم البنيان الانقلابيّ بكامله.. وهكذا غضب المتحدث باسم جبهة الإنقاذ، خلال برنامج لقناة الجزيرة، لأنّ المعارض له حاول التشكيك في الرّقم عبر أدلّة منطقية..

غضب ورفض رفضا قاطعا العودة للحديث عمّا قبل الثّلاثين من يونيو.. لأنّ العودة تعني سقوط الكذبة، ومن ثم سقوط بقيّة السّلسلة...!!

توالت الأكاذيب المبنيّة على الكذبة الكبرى...!!

تحدّثوا عن سلاح المعتصمين، بل أسلحة ثقيلة...!! وتداول إعلاميّون ناطقون باسم الانقلاب كلاما عن عناصر من كتائب عزّ الدين القسّام الفلسطينيّة ترابط في ميدان رابعة العدويّة...!! وتحدثّ سياسيّ مصريّ غريب الأطوار عن سوريّين وعراقيّين وفلسطينيّين قَتلوا المعتصمين السلميّين...!! وهكذا فأيادي الشّرطة والجيش بريئة من دمائهم...!!

وظهرت الكذبة من جديد.. أين هؤلاء المسلّحين، ولماذا لم يدافعوا عن أنفسهم في لحظات الموت...؟؟؟

وأين عناصر القسّام وغيرهم والميادين محاصرة، والقاهرة نفسها قد تحولّت إلى ثكنة عسكريّة كبيرة.. أين هم، ولماذا لم تصلوا إليهم وتعتقلوهم وتظهروهم على الشّاشات المؤيّدة للانقلاب، وتَحْسِموا المعركة بالضربة القاضيّة...؟؟

تحدّثوا عن كذبة خارطة الطّريق الجديدة، وروّجوا لمشاركة الجميع دون استثناء، وانكشفت الكذبة عندما عجزوا عن استيعاب استقالة محمّد البرادعي.. لم يرفضوها فقط، بل اتّهموه بالخيانة العظمى.. وبعد أن كان بالأمس نائبا للرئيس المؤقّت، هاهو اليوم متّهم أمام المحاكم...!!

تتوالى الأكاذيب...

كذبة القرار الوطنيّ الذي يرفض التدخّلات الأجنبية.. وكذبة حركة ثلاثين يونيو التي صنعتها أموال رجل أعمال معروف يحسن الرّقص على جميع الحبال

الأجنبيّة والمحليّة.. وكذبة الكيفيّة التي قُتل بها المجنّدون في سيناء.. وكذبة حرق أنصار مرسي للكنائس والمؤسّسات الحكوميّة...!!

ولأنّ الهمّ مراتب ودرجات، فإن كَذِب الانقلابيّين في مصر مؤشّر إيجابيّ على درجة الوعي التي وصلت إليها الشعوب بعد الربيع العربي...!!

فلم يعد في الإمكان أن يستيقظ جنرال من نومه معكّر المزاج بسبب حلم أو كابوس، ثم يتشاجر مع زوجته، فيبادر إلى خلع الرّئيس المنتخب وتعطيل العمل بالدّستور.. لقد عرف هؤلاء أنّ ذلك الزّمن قد ولّى إلى غير رجعة، وهكذا تفنّنوا في إخراج مسرحيّة المظاهرات واعتبروها ثورة جديدة وتحدّثوا عن تفويض شعبيّ...!!

إنّ الانقلابيّين في مصر، وعبر أكاذيبهم، كمن يحاول إقناع الناس أن رجلا أخرسَ قال لرجل أطرش إنّ رجلا أعمى شاهد رجلا مشلولا يلحق برجل مقطوع اليدين ليمنعه من شدّ شعر رجل أصلع...

ومع أنّني أرفض التّعاطي مع الكذب ولو كان مزاحا، فإنّي أدعو إلى تغيير مناسبة كذبة إبريل السّنويّة، إلى كذبة يونيو، لأنّ الأخيرة أبلغ وأشدّ دلالة على الكذب، ففيها ولدت أمّ الأكاذيب وما تلاها.

2013-08-25

7

مصر وآشتون.. اكتمل المشهد

مظاهرات ومسيرات واعتصامات مثيرة للجدل في تنظيمها وتضخيم أعدادها، تتلوها مباشرة بزّة عسكريّة سافرة تتحدّث عن خارطة طريق وما تسمّيه إنقاذا للبلاد من الهاويّة، ثم تظهر في المسرح تركيبة حكم هزيلة تتصدّرها وجوه مستهلكة، ووسط هذا الخليط يتلقّى الشعب المصريّ وعودا سخيّة بقرب زمان دولة السّمن والعسل التي ستطرد نحس الفقر والحرمان والشّقاء إلى الأبد.

المهازل بعد الانقلاب استمرّت في التّوالي، لكنّ أخطرها، في تقديري، هو وصول السّيّد عمرو موسى، الأمين العامّ السابق لجامعة الدّول العربيّة، إلى عرش لجنة الخمسين، وما أدراك ما هذه اللّجنة التي تتولّى صياغة دستور جديد للبلاد...!! وإن كان الحديث يدور ظاهرا عن تعديل الدّستور المعطّل الذي وافق عليه الشّعب في استفتاء عامّ.

ماذا فعل عمرو موسى في الماضي طوال سنوات نشاطه في دواليب السّياسة المصريّة ثمّ في أروقة الجامعة العربيّة...؟؟ ماذا أنجز حتى يقدّم شيئا جديدا ومفيدا لمصر في هذه المرحلة الحسّاسة المشحونة بالتحدّيّات المحلّيّة والإقليميّة والدّوليّة...؟؟

إنّ عمرو موسى ينتمي إلى جيل سياسيّ فاشل بامتياز، بعمومه طبعا لأنّه لا يخلو من أفراد مخلصين وجادّين وإلا لكانت الدّولة قد سقطت سقوطا حرّا واختفت من الوجود تماما..

لكنّ الغريب، في نظري، أنّ هناك من يرى في الرّجل كفاءة سياسيّة عاليّة...!!

وقد ردّ زميل أكاديميّ على كلام سابق لي قائلا: إنّ عمرو موسى من أكفإ السّياسيّين العرب...؟؟؟

أحترم صاحب الرّأي، لكنّ من حقّ الجيل الذّي أنتمي إليه أن يتساءل عن معيار الكفاءة ونتائجها الملموسة على أرض الواقع...؟؟

لأنّ الكفاءة السّياسيّة ليست شعرا يُنشد في المحافل والمناسبات وبين يدي الأمراء والملوك؛ فهي في الأساس إنجازات يلمسها المواطن على صعيد الوطن في الدّاخل، ثمّ على مستوى الدّور والمكانة المرموقة في الخارج حين يحجز

السّياسيّون الأكفاء لدولهم وشعوبهم أماكن محترمة في خضمّ هذا العالم المتدافع.

ولعلّ الزّميل الكريم كان صادقا في وصفه لعمرو موسى، من باب أنّ الرّجل وأمثاله في جميع الدّول العربيّة حافظوا على كيانات دولنا من النّاحية الشّكليّة، فلم تندثر وظلّت ضمن الخارطة الدّوليّة، ولم تتحوّل إلى كيانات تابعة للدّول الاستعماريّة بشكل مباشر...!!

ربما تُحسب هذه الكفاءة لعمرو موسى، والحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه..

هذا الرّجل ومسودّة تعديل الدّستور من جهة، ومن الجهة الثّانية لابدّ أن يكتمل المشهد من خلال ما يجري في شبه جزيرة سيناء...؟؟

وهكذا تنطلق الحرب على الإرهاب بدون هوادة، ولا ندري أين كانت التّشكيلات الإرهابيّة قبل ذلك...؟؟ ولماذا تحرّكت في هذا الوقت بالذّات...؟؟

وكيف كانت تعيش في فترة البيات الطّويلة وعلى تلك الأرض التي تلتقي فيها سيناء مع حدود قطاع غزّة ودولة الكيان الصّهيونيّ وتتعانق فيها مدينة طابا المصريّة مع إيلات الإسرائيليّة والعقبة الأردنيّة.. وغير بعيد عن هذا تظهر حدود المملكة العربيّة السّعوديّة، حيث لا يفصل بينها وبين سيناء سوى خليج العقبة...؟؟؟

تداخلٌ وتقاربٌ وتنسيقٌ سهل المنال في شبه جزيرة سيناء، وبين أطراف كثيرة تبدأ من الدّاخل المصريّ وتمرّ بدول الجوار وتنتهي بالسّلطة الفلسطينيّة، أو المسمّى محمّد دحلان، على وجه التحديد، ذلك القياديّ الفتحاويّ المطرود

من غزّة منذ استيلاء حركة حماس على القطاع، حيث تنتعش آماله من حين لآخر في العودة من جديد إلى عزّه ومجده التليد وعمليّات اللّعب على الحبال بين دولة الكيان الصّهيونيّ، ونظام حسني مبارك الذي استعاد الكثير من حيويّته وأجنداته مع انقلاب الفريق عبد الفتّاح السّيسي على حكم الرّئيس المنتخب محمّد مرسي.

وحتّى ينجح الانقلاب، أو هكذا يتوهّمون، لا بدّ أن يتحوّل الانقلابيّون إلى أبطال يذودون عن حمى الوطن ويدافعون عن حدوده الشرقيّة ويصدّون هجمات الإرهابيين وعصابات الإجرام في سيناء...!!

ولا بأس بعد ذلك، بل هو الواجب الوطنيّ، أن يُخنق شعب قطاع غزّة بالكامل لتزدهر فيه أزمات الوقود والغذاء والدّواء ويتحوّل إلى سجن كبير يتقاسم حراسته المثلّث الذي تمثّل رؤوسه السّلطة الفلسطينيّة والانقلابيّون والكيان الصّهيونيّ.

ويكتمل المشهد أيضا عندما يشارك إعلام الانقلاب في الحرب على الإرهاب، ويتفنّن في إقناع الشّعب المصريّ بأنّ المعركة معركته، وهي فوق كلّ المعارك وقبل كل الأولويّات...!!

وتتواصل الاغتيالات والتّفجيرات ويتحدثّ المراسلون والمحلّلون والمعلّقون... وعلى الدّيمقراطيّة أن تتنحّى جانبا فالوطن في خطر...!! وعلى أرباب الفساد أن يواصلوا عبثهم في الأموال العّامة فلا خطر منهم، لأنّ الخطر الدّاهم هو ما يأتي من جهة سيناء فقط...!!

مشهد منسوخ ومكرّر كنت أعتقد أنّه لن يعود إلى أيّ دولة عربيّة ونحن في العقد الثّاني من القرن الواحد والعشرين...!!

إنّه تحالف إرادات دوليّة وإقليميّة لا تريد لشعوبنا اللّحاق بركب الحضارة والتّقدم، لأنّ أيّ خطوة ناجحة في هذا السّبيل من شأنها الإضرار بهؤلاء ومصالحهم وشركاتهم.. وقد تَجَسّد هذا الأمر في زيارة مسؤولة السّياسة الخارجيّة والأمنيّة للاتّحاد الأوروبيّ كاثرين أشتون لمصر مؤخّرا.. لقد ظهر جليّا أنّ آباء الديمقراطية لا يبالون بها كثيرا إذا تعرّضت لمكروه في غير بلدانهم...!!

أيّها الوطنيّون الحقيقيّون في كلّ الدّول العربيّة: لقد تفنّنت الفضائيّات المأجورة والشّخصيّات المغرورة في تقزيم دور الشّعوب، وهكذا راحت تنسب ما حدث خلال السّنوات الأخيرة إلى المخابرات الأمريكيّة وغيرها...!!

وللمرّة الألف علينا أنّ نقرّ بأنّ القوى الكبرى القادمة من وراء البحار تملك كلّ وسائل الكيد والتّخطيط وسرقة تحرّكات الشعوب وثمرات نضالها.. لكن إلى متى...؟؟

وهل نطلب من شعوبنا الاستسلام من جديد والبحث عن كهوف لتنام فيها عدّة مئات من السّنين...؟؟ أم نحافظ على جذوة الأمل في حياة ديمقراطيّة حقيقيّة ولو بعد حين..؟؟؟

2013-10-06

8

بين مانديلا.. والسّيسي

بعد بضع سنوات من غزو العراق تحسّر الرّئيس الأمريكيّ آنذاك جورج بوش على حالة التّشرذم التّي يعيشها العراقيّون، وعبّر بسخريّة عن افتقاد بلاد الرّافدين لزعيم يوحّد الشّمل مثل مانديلا، وأضاف: إنّ نيلسون مانديلا مات لأنّ صدّام حسين قتل كلّ مانديلا عراقيّ.. واشتبه الأمر على البعض حينها حين ظنّوا أن مانديلا مات فعلا، وهو الأمر الذي نفته مؤسّسة نيلسون مانديلا.

لا أدري، وليس مُهِمّا أن أدري، إن كان جورج بوش الابن قد تحسّر فعلا على الوضع المأساويّ في العراق في تلك السّنوات أو حتّى الآن وهو بعيد عن البيت الأبيض، لأنّ العبرة بالأفعال، وقد فعلها هو عندما أصرّ على تدمير العراق بسبب رجل واحد هو صدّام حسين الذي يشكّل عبئًا على شعبه وخطرا على الأمن العالمي على حدّ زعم الدّعاية الأمريكيّة.

ومع ذلك فإنّ كلمة بوش الابن لامست الحقيقة، أو طرفا منها على الأقل، لأنّ الزعامات والحكومات العربية التي حملت ألوية الاستبداد والفساد بذلت أقصى ما تملك من جهود لإجهاض مشاريع عدد كبير من (الماندیلات).. والأمر ذاته ينطبق على دول أخرى في مختلف قارّات العالم.

ومع أنّ جرائم الاستبداد والفساد لا تُغتفر ولا تُبرّر بأيّ حال من الأحوال فسوف أسمح لنفسي بتفهّم الحالات المرضيّة المزمنة التي يعيشها المستبدّون وذلك الاتحاد الكامل بينهم وبين السّلطة والكراسي والمصالح...!!

ومن ثمّ يتحوّل الإصلاح عندهم إلى جريمة، والمصلح إلى شيطان بكلّ ألوان الطّيف، وطالبُ الحقّ (هِرْطيق) متطاول على أقدس المقدّسات.. وهكذا يستحقّ النّفي والتّشريد وحتى القتل ثم التّنكيل بمن حوله من أهل وعشيرة...!!

لكن ما استفزّني بشدّة هو ما فعله رؤساء وزعماء وسَدَنَة استبداد وفساد بعد موت الزّعيم الجنوب إفريقيّ نيلسون مانديلا...!!

لقد تفنّنوا في عبارات العزاء وتعداد صفات الرّاحل وأفضاله على الإنسانيّة جمعاء.. وأبرقوا برسائل العزاء وتحدّثوا لوسائل الإعلام وحضروا مراسم التأبين...!!

لو عاصر هؤلاء مانديلا في عزّ النّضال والكفاح لأمطروه سبًّا ولعنًا صباح مساء، لأنّهم سيتوجّسون من تأثيره على شعوبهم وإلهامه النّضاليّ لغيره ولو عبر آلاف الكيلومترات، ومن وراء البحار والمحيطات.. فكم من (مانديلا) دفنوه في بلدانهم.. وكم سجنوا وشرّدوا.. بل أكثر من ذلك حين حوّلوا دولا كاملة، لها أعلامها وجيوشها وأناشيدها الوطنية، إلى معتقلات بأتمّ معنى الكلمة.. أو في حدود نصفها أو حتى ثلثها على الأقلّ.

لماذا ثار مانديلا ورفاقه على نظام الفصل العنصريّ في جنوب إفريقيا...؟؟

بل ما فلسفة ذلك النظام البغيض...؟؟

أليست المحصّلة ظلما وتهميشا وانفرادا بالحكم والثّروات والخيرات...؟؟

أليست غياب الرأي والرأي الآخر...؟؟

ألم نكن أمام أقليّة تريد أن تفرض رأيها على الأغلبيّة...؟؟

إنّ الأمر ذاته حدث، وما زال يحدث بأشكال متعدّدة وربما مبتكرة وفي دول حضر زعماؤها لإلقاء النّظرة الأخيرة على المناضل العالميّ، أيقونة الصّمود، نيلسون مانديلا...

على كلّ حال هذا ما حدث فلنحاول العيش في إطار اللّحظة التاريخيّة ونستشعر مع أحرار العالم عظمة تلك القيم التي ناضل من أجلها نيلسون مانديلا وجسّدها عندما وصل إلى منصب الرّئاسة ثمّ تركه بمحض إرادته بعد خمس سنوات فقط.. فلم يخطّط لفترة ثانية في منصبه، وواجه شعبه بخطاب الوداع ثم تقاعد.

والإعجاب بمآثر الرّجل ونضاله لا يعني أبدا أنّه كان في مأمن من الأخطاء والمزالق، بل العكس هو الصّحيح حيث تزدحم التّساؤلات في ثنايا حياته الشّخصية والسّياسيّة.. لكنّه أمر يعني المؤرّخين والدّارسين أكثر من غيرهم، في تقديري، لأنّ العبرة الآن بدروس النّضال والصّمود والتّسامح التي حجزت لنفسها مكانا مرموقا في الإرث الإنسانيّ المشترك.

لقد سَخِر الرّجل من الإغراء وقاوم التّهديد والاضطهاد وصمد في السّجن قرابة الثّلاثين سنة، وعندما استنشق عبير الحريّة من جديد وجد نفسه في أتون معركة أخرى أشدّ ضراوة من الأولى...

إنّها النّفس وإرغامها على العفو والصّفح والتّسامح والتّعايش مع الآخرين...

وأيّ آخرين هم...؟؟

إنّهم الذين انتهكوا الأعراض وقتلوا الكبار والصغار واستأثروا بالثّروات سنين طويلة..

ومَن هؤلاء ومن أين جاؤوا وما لون بشرتهم...؟؟

هل هم من أبناء العمومة أو الجيران لكنّ نوازع الشرّ دفعتهم إلى ارتكاب تلك الفظائع...؟؟

لا.. إنّهم وافدون غرباء قطعوا آلاف الكيلومترات وحضروا إلى إفريقيا ضمن جيوش الغزو والنّهب والاستعباد، فلمّا تغيّرت قواعد اللّعبة الاستعماريّة طاب لِنَفر من البيض البقاء ومن ثمّ قرّروا الاستيلاء على البلاد والعباد...!!

لقد انتصر مانديلا على نفسه وأقنع قومه من السّود والملوّنين بقيمة العفو ليتسنّى للجميع النّظر إلى المستقبل بوضوح.. أسّس دستورا جديدا ولجنة للحقيقة

والمصالحة.. وعاش النّاس فترات عصيبة من المكاشفة والاعتراف والتّسامح بين جلاّدي وضحايا الأمس.

لقد بلغ نيلسون مانديلا هذه المكانة العالية عبر سلالم النّضال والصّمود والصدق مع شعبه والزّهد في كراسي الحكم..

ومن المفارقات المحزنة أنّ قائد الانقلابيّين في مصر ظلّ يعيش في وادٍ آخر بينما يتفاعل العالم مع مشاهد ومشاعر الأيّام العشرة الفاصلة بين موت مانديلا وإسكانه في قبره...!!

لقد رأى عبد الفتّاح السّيسي مناما.. خيرا، اللّهم اجعله خيرا..

رأى الرّجل (الصّالح) نفسه مع الرّئيس المصريّ الأسبق أنور السّادات، فقال ذلك الحاكم العسكريّ الرّاحل إنّني سأكون رئيسا لمصر، وردّ السّيسي بأنّه هو أيضا سيكون رئيسا لمصر.. ثمّ رأى نفسه وهو يحمل راية كُتبت عليها كلمة التّوحيد (لا إله إلا الله) باللون الأحمر...؟؟!!

هُراء في هُراء.. لكنّ ما العمل ما دامت أعداد من شعوبنا تصدّق كلّ شيء يروّجه إعلاميون مضلّلون ويسوّقه سياسيون انتهازيون ويغنّي له فنّانون مستعدّون دائما لتقبيل الأحذية.. مهما كانت هذه الأحذية.

2013-12-15

9

مصر.. متى يكتمل المشهد..؟

تمنّيتُ لو تريّث قادةُ الانقلاب المصريّ بعض الوقت قبل أن يعلنوا جماعة الإخوان المسلمين تنظيما إرهابيّا.. ماذا لو أجروا تحقيقات ولو كانت على عجل، وجمعوا أدلّة، أو فبركوها وزيّنوها، ثم أشاعوها عبر وسائل إعلامهم الكثيرة، أو مزاميرهم بالأحرى.. وعندما تصل الإثارة حدّ الذّروة ينطلق القرار الحاسم، وبعدها قد يصدّق قسم من الشّعب المصريّ مزاعم السّيسي ورفاقه.

لقد تابع العالمُ ذلك التّفجير الإرهابيّ الذي استهدف مبنى مديرية أمن الدقهليّة بالمنصورة، وأسفر عن ستّة عشر قتيلا معظمهم من رجال الشّرطة، إضافة إلى إصابة نحو مائة وأربعين آخرين.. إنّه تفجير إرهابيّ.. لا مراء فيه.. لكنّ السؤال يظلّ مطروحا حول هويّة ذلك الإرهابيّ، فردا أو جماعة، ودوافعه...؟؟ ولأنّ قاعدة "ابحث عن المستفيد" هي الأكثر ملاءمة لأحداث منطقتنا العربيّة، فإنّ الطّرف المستفيد من تفجير المنصورة لن يظلّ لغزا مستعصيا على الحلّ إلى الأبد.

لقد سارع الانقلابيّون إلى إلصاق الإرهاب بالإخوان المسلمين، ومع أنّ بالإمكان تفهّم الحالة النفسيّة التي يمرّ بها السّيسي ومن حوله بعد تواصل المظاهرات السلميّة، فقد كان في وسعهم تجنّب الوقوع في هاوية الرّداءة المفرطة، فالتّفجير حدث فجر الثّلاثاء ليجتمع مجلس الوزراء يوم الأربعاء ويخرج بقراراته وأيّ قرارات...؟؟

إنّها "توقيع العقوبات المقرّرة قانونا لجريمة الإرهاب على كلّ من يشترك في نشاط الجماعة أو التّنظيم أو يروّج لها بالقول أو الكتابة أو بأيّ طريقة أخرى، وكلّ من يموّل أنشطتها.. توقيع العقوبات المقرّرة قانونا على من انضمّ إلى الجماعة أو التّنظيم واستمرّ عضوا في الجماعة أو التّنظيم بعد صدور هذا البيان"..

هكذا تحدّث حسام عيسى نائب رئيس الوزراء المصري...!!

هل طغت ثقافة عصر السّرعة على كلّ شيء، حتى في القرارات السياسيّة المصيريّة.. أم أنّ مشروع القرار كان جاهزا بالتّمام والكمال في درج مكتب

الفريق عبد الفتّاح السّيسي...؟؟ وهكذا احتاج فقط إلى يوم واحد لنقله من وزارة الدّفاع إلى طاولة اجتماع مجلس الوزراء.

مصر وأشتون.. اكتمل المشهد.. هكذا كتبتُ قبل فترة.. واعتقدتُ حينها أنّ المشهد قد اكتمل فعلا.. حيث المسيرات والمظاهرات من جهة والانقلابيّون وخارطة طريقهم من الجهة الثانية، ثم سلسلة المهازل وأبرزها ترأّس عمرو موسى للجنة الدّستور، ثمّ الحرب على الإرهاب في شبه جزيرة سيناء وظهور قادة الانقلاب بمظهر الأبطال المدافعين عن أمن الوطن والمواطن، وأمام المشهد ووراءه بحافل إعلاميّة انتهازيّة ولوبيّات فساد قديمة تتنفّس الصّعداء بعد وَأْد الديمقراطيّة، ثم يكتمل المشهد بزيارة مسؤولة السّياسة الخارجيّة والأمنيّة للاتّحاد الأوروبيّ كاثرين أشتون لمصر، ورسالتها الواضحة الجليّة بأنّ آباء الديمقراطيّة لا يبالون بها إذا تعرّضت لمكروه في غير بلدانهم..

قلت ذلك وأنا أعتقد فعلا أنّ المشهد قد اكتمل.. لكنّني أتراجع الآن وأتساءل: متى يكتمل المشهد...؟؟

إنّ مصر هي قلب الأمّة النّابض بالحياة، والخشية كلّ الخشية أن تكون هذه الخطوات التصعيديّة أكثر من مجرّد تعصّب للفكر الواحد والحرص على المصالح الخاصّة للجيش وقياداته..

أي أنّها بعض مراحل خطّة مرسومة بعناية لجرّ الطّرف الآخر إلى المواجهة الدامية بعد حصره في عدد من الزّوايا الحادّة، خاصّة أنّه ضبط أفراده حتّى الآن ونجح في تجنّب العنف رغم ما حدث في حقّه من مجازر ومذابح.

إنّ المشهد خطير فعلا.. فماذا بعد هذا التّصنيف وعمليّات الشّيطنة الإعلاميّة المتواصلة ضدّ الطّرف الآخر منذ الانقلاب...؟؟

هل سيقْدم السّيسي على قتل النّاس في الشّوارع والجامعات والمستشفيات والإدارات...؟؟

هل سينصب مشانق في الحدائق العامّة لكي يوقف خطر الإرهاب الاخوانيّ ويحمي مصر وشعبها كما يقول...؟؟

هل سيفكّر في العواقب الوخيمة وهو الذّي جمّد أموال أكثر من ألف جمعيّة أهليّة تقدّم خدمات عامّة للفقراء والمحتاجين وتتحمّل بعض أعباء الدّولة المصريّة العاجزة...؟؟

هل يفعلها السّيسي خاصّة أنّ المكيافيليّة هي المرجعيّة الأولى لدى الأوساط السّياسيّة والثّقافيّة والفنّيّة والاقتصاديّة المساندة له...؟؟

وأكثر من ذلك سوف يجد بين علماء السّلطان من يفتي له حسب المقاس، فذلك الشّيخ المعروف الذّي أعلن أنّ دستور عمرو موسى مُؤَيّد من الله، لن يشعر بأيّ حرج عندما يصف معارضي الانقلاب بالخوارج أو الزنادقة لكي يتسنّى للسّيسي التقرّب إلى الله بإسالة دمائهم...!!

لكن لو نجح السّيسي في الدّاخل، فكيف سيتصرف مع سكّان المعمورة، فالقرار يشمل إخوان مصر وخارجها...؟؟

لا شكّ أنّه في حاجة إلى دعم أجهزة استخباراته بعدّة ملايين من المصريّين لفحص كلّ المنتمين أو المتعاطفين أو المدافعين عن الإخوان عبر العالم، من المسلمين وغيرهم.. كلّ من كتب مقالا أو علّق في مواقع التّواصل الاجتماعيّ

أو عبّر عن رأي داعم للشرعيّة.. وهكذا سوف تتضخّم قوائم الممنوعين من الدّخول إلى مصر والمُتَابَعين عبر العالم، ويحقّق الأمن المصريّ رقما قياسيّا في حيازة أكبر قاعدة بيانات حول العالم.. سوف تتحوّل مصر إلى ورشة عظيمة ربّما تذكّر بسنوات إنشاء قناة السويس، أو بناء الأهرامات.. لكنّ الفرق شاسع...؟؟ فالقناة غيّرت مسار الملاحة العالميّة.. والأهرامات ظلّت خالدة مع الزّمن.

وأخيرا.. نتمنّى أن يعود العقل إلى أداء وظيفته حين يتذكّر السّيسي أنّ نيلسون مانديلا ظلّ سنوات طويلة وراء القضبان وكان اسمه مقرونا بالإرهاب، ثمّ مات بطلا ومناضلا عالميّا من الطّراز الأوّل.. ومن المفارقات أنّ تمثالا متميّزا لمانديلا يحتلّ مساحة في ساحة البرلمان بالعاصمة البريطانيّة لندن.. تلك العاصمة التي جالت وصالت فيها المرأة الحديديّة، مارغريت تاتشر، وهي التّي نظرت إلى مانديلا على أنّه شيوعيّ وإرهابيّ وأيّدت إزالة حزب المؤتمر الوطنيّ الإفريقيّ المعارض لنظام التمييز العنصريّ في جنوب إفريقيا.

2013-12-29

10
بين أمريكا ومصر

اختار الكاتب مايكل هارت الزّعيمَ والرّئيسَ الأمريكيّ الأوّل جورج واشنطن ووضعه ضمن شخصيّات كتابه (الخالدون المائة).. وتحدّث عن حياته بإيجاز، فالكتاب مختصر في الأساس، ثم قال إنّ جورج واشنطن اكتسب هذا المكان البارز في إنشاء الولايات المتّحدة الأمريكيّة من ثلاث مهام خطيرة أُسندت إليه.. منها أنّه كان أنجح قائد عسكريّ في حرب الاستقلال الأمريكيّة، والثانيّة أنّه كان رئيسا للّجنة الدستوريّة.

أما الثّالثة، على رأي هارت، أنّه كان أوّل رئيس للولايات المتّحدة الأمريكيّة وكانت البلاد محظوظة تماما في أن يكون أوّل رئيس لها رجلا من هذا الطّراز.. لماذا...؟

يواصل الكاتب: التّاريخ في أمريكا اللاتينيّة وفي إفريقيا يؤكّد لنا أنّ كلّ دولة ناشئة من السّهل أن تتحوّل إلى دكتاتوريّة عسكريّة. ولكنّ هذا الرجّل كان من القوّة والعظمة التي أبقت على الولايات المتّحدة، وباعدت بينها وبين التّفكّك والتّحلّل ولم يكن حريصا على أن يظلّ في السّلطة إلى غير نهاية، فلم يشأ أن يكون ملكا أو دكتاتورا، وأصبحت هذه هي القاعدة في حكم الولايات المتّحدة.

والجملة الأخيرة هي بيت القصيد هنا.. فشعبيّة الرّجل وإنجازاته في تحرير البلاد من الاستعمار البريطانيّ وإعداد الدّستور لم تحشره في زاوية الغرور الضيّقة، أو تصيبه بالخوف المَرَضيّ على الدّولة الناشئة، ومن ثمّ التشبّث بكرسيّ الرّئاسة حتّى الممات.

وإلى جانب ما سبق يذكر الأمريكيّون لرئيسهم الأوّل إيمانه العميق وحماسه الشّديد للفقرة الدستوريّة التّي تنصّ على استقلال السّلطات الثّلاث، التّنفيذيّة والتّشريعيّة والقضائية، عن بعضها البعض إلى أبعد حدّ ممكن.

وهكذا بدأت تقاليد الحكم في الدّولة الجديدة على أساس الفصل التّام بين السّلطات، ثم أضاف جورج واشنطن دعامة أخرى لهذه التّقاليد عندما اُنتخب لعهدة ثانية عام اثنين وتسعين وسبعمائة وألف لكنّه تنحّى عن المنصب طواعيّة بعد فترة حين نشر خطاب الوداع في إحدى الصّحف، ثم عاد إلى بيته حتى وافته المنيّة.

البداية كانت متينة إذن، والإرث الذي تركه الأوائل لمن بعدهم كان ثمينا إلى درجة لا تقاس بالذّهب والفضّة وبقيّة المعادن النّفيسة والنّفط والغاز والحديد والفوسفات.. إنّه احترامُ الذّات والقناعةُ بأنّ لكلّ شخص حدودا في العطاء، مهما عظمت مواهبه وقدراته.. إنّها المقولة التي تشتهر بيننا: رحم الله من عرف قدر نفسه.

هذه هي أمريكا التي نشتكي من ظلمها وتحيّزها لإسرائيل، ونتألم أيضا من وقوفها مع مصالحها ولو على حساب تطلّعات شعوبنا إلى الحريّة والدّيمقراطيّة.. ومع ذلك نحترم ذلك القدر الهائل من الحريّات التي قامت عليها الدّولة والأمّة الأمريكيّة.. وحتى لو قال قائل بأنّ الدّيمقراطيّة في أمريكا ليست نظيفة كما نتصور بعد أن صار اللاّعب الأساسيّ فيها هو الإعلام والمال واللوبيّات والشّركات الكبرى؛ فالمواطن الأمريكيّ يعيش حرّا في أفكاره وتصرّفاته ويعارض ويهاجم أكبر رأس في البلاد، الرّئيس، ويرفع لافتات مشاكسة أمام البيت الأبيض، ثمّ ينصرف إلى بيته، ولن يخطر على باله أنّ أحدا سيتعقّبه أو يستدعيه للتّحقيق.

الحديث عن مثل هذه القضايا يزداد أهميّة هذه الفترة مع تطوّرات الشّأن المصريّ الذي تردّى بعد أن راودتنا الأحلام في تحوّل مصر إلى أكبر ديمقراطيّة عربيّة، من خلال ثقلها السّكاني والسّياسيّ والثّقافيّ والتّاريخيّ..

كنّا نتوقع قلاقل وصراعات لأنّ ما يحدث هو أشبه بالممات والميلاد؛ موت عهد وميلاد عهد جديد، ولا يتصوّر عاقل حالة ممات أو ميلاد بلا ألم..

لكنّ ما أحدث الصّدمة هو تلك الرّدّة العارمة عن الدّيمقراطيّة والحرّيّات، ومن ثمّ التّأسيس لعهد جديد تطبعه الفرديّة والنّرجسيّة أكثر ممّا كان خلال عهد الرّئيس حسني مبارك.

تصريحات غريبة سمعناها قبل فترة من رئيس وزراء ما بعد الرّئيس المنتخب، ومفادها أنّ عبد الفتّاح السّيسي، قائد الانقلاب ووزير الدّفاع، يتعرّض لضغوط شعبيّة عارمة للترشّح للرّئاسة على غرار ما حدث مع إيزنهاور وديغول...!!

وفعلا.. تتطوّر هذه الضّغوط المزعومة إلى تجمّعات وحملات ودعوات للتّرشّح وتسير الخطوات بدقّة نحو الهدف، خاصّة بعد تعديل خارطة الطّريق لتسبق الانتخابات الرئاسية قرينتَها البرلمانيّة.

لقد ذكّرتني هذه المهازل بموقف قيل إنّه حدث خلال مفاوضات منتجع كامب ديفيد عام ثمانية وسبعين من القرن الماضي، والتي استضاف فيها الرئيس الأمريكيّ جيمي كارتر كلاّ من الرّئيس المصريّ أنور السّادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيجن..

الموقف يتعلّق بالضّغط الشّعبيّ حين كان الإسرائيليّون يعترضون كلّ مرّة ويحتجّون بأنّ الرّأي العامّ الإسرائيليّ لن يقبل هذه الخطوة أو تلك..

وربّما أعجبت السّادات هذه الفكرة فاعترض مرّة على الأمريكيّين بحجّة الرّأي العامّ المصريّ.. فجاء الرّدّ الأمريكيّ ساخرا: نحن نعرف كيف تطبخون الرّأي العامّ عندكم...!!

إلى أيّ اتجاه تسير الدّول العربيّة إذا كانت مصر أمّ الدّنيا، وليست أمّ العرب فقط، تتخبّط هذه الأيّام في سخافات سياسيّة مكانها في عمق سلّة مهملات التاريخ...!!

ينقلب وزير الدّفاع على رئيس منتخب ويقول إنّه فعل ذلك تلبية لرغبة الشّعب، ثم يُقْسِم على الملأ أنّه لا يرغب في منصب الرّئاسة، ثمّ تتقدّم المؤسّسة العسكريّة وترشّح الرّجل بعد أن يرقّيه الرّئيس المؤقّت إلى رتبة مشير وهي أعلى رتبة في الجيش المصري...!!!

إنّها المصائب في زمن الحريّات والديمقراطيّات في كلّ أصقاع العالم.. جيش يتحوّل إلى حزب سياسيّ، وعسكريّ حتى النّخاع يتبدّل بين عشيّة وضحاها إلى مدنيّ يجري وراءه إعلاميّون وسياسيّون ومثقّفون وفنّانون وعلماء دين...!!!

لا أعرف التّوصيف الدّقيق للحالة المصريّة، لكنّ العبارة التّالية قد تناسبها تماما: (يستطيع الأحرار تحطيم أبواب السّجن، لكنّهم لا يستطيعون إرغام العبيد على الخروج منها).

2014-02-09

11

إلاّ الطّبّ يا مولاي..

فتح المصريّون والعرب أعينهم بدهشة على النّكسة عام سبعة وستين من القرن العشرين، وابتلعت إسرائيل شبه جزيرة سيناء وتلقّى الجيش المصريّ ضربة عسكريّة كبيرة، ودمّر سلاح الجوّ الإسرائيليّ نظيره على أرض الكنانة، لكن على الثَّرى لا قرب الثُّريّا.. فقد تلقّت الطائرات الحربيّة المصريّة الضربة وهي رابضة على مدرّجات المطار في غفلة من ذلك الرّهط الذي أشبع الدّنيا بالخطابات التي تبشّر برمي إسرائيل في البحر.

في تلك الفترة التي سبقت النّكسة كان الكلام هو سيّد الموقف، ولا بأس في ذلك فالعرب تقول منذ القديم: إنّ الحرب أوّلها كلام.. لكنّ المصيبة الكبرى، والمهزلة أيضا، حين يكون الكلام هو العدّة والعتاد سواء في الحرب أو السلام، وهكذا كانت صواريخ الظّافر والنّاصر، الخشبيّة المزيّنة بعناية، تجوب شوارع القاهرة على متن شاحنات عسكريّة وتلهب خيال المصريّين بمشاهد الثّأر التي ستحدثها في تل أبيب عاصمة الكيان الصّهيونيّ وتُذهب من الذّاكرة ألوان التجبّر والقهر والإرهاب التي مارسها الصهاينة ضدّ الفلسطينيّين وجيرانهم.. وأكثر من الصّواريخ قال باعة الوهم إنّهم اخترعوا طائرة تصل سرعتها إلى ضعفي سرعة الصوت...!!

هذا بعض حال القوات المسلّحة المصريّة والدّولة التي كانت تديرها.. ومع أنّ حرب رمضان، أكتوبر، التي تلت النّكسة بستّ سنوات قد أعادت بعض الثّقة للمصريّين والعرب؛ فإنّ صفحتها سرعان ما طُويت بفعل ممارسات الرّئيس أنور السّادات وانخراطه في مفاوضات سلام أنجبت اتفاقية كامب ديفيد المشؤومة.

وهل تغيّر الحال مع مجيء الرّئيس حسني مبارك وتسمّره على كرسيّ الحكم والجيش مدّة ثلاثين عاما...؟؟

العقل والمنطق يشيران إلينا دائما بأنّ التّغيير سنّة كونيّة وغريزة بشريّة، وأكثر من ذلك هاهي رياح الثّورة التكنولوجيّة قد هبّت على الجميع، في مصر وغيرها..

وفوق ما تعرّض له سكّان العالم تعرّض الجيش المصريّ لنفحات ثورة الخامس والعشرين من يناير، وحتى الثّلاثين من يونيو، إذا ألغينا عقولنا للحظات وصدّقنا أنّ هذه الأخيرة ثورة..

الأمر المؤسف أنّ الجواب بالنفي وليس بالإيجاب رغم كلّ ما يحدث في العالم من تغيير وتحديث.. وهاهي (حليمة تظلّ على عادتها القديمة)، حتى لا نقول إنّها عادت إلى عادتها القديمة، لأنّها لم تتخلّص منها على ما يبدو.

والدّليل على هذا الجواب السالب ذلك "الاختراع العظيم" الذي فاجَأَنا به الجيش المصريّ الباسل، أو قادته على الأقل، والطريقة الدعائيّة التي صاحبته في وسائل الإعلام المؤيدة للانقلابيّين، والتعبيرات التي جاءت على لسان من قال إنّه لواء طبيب وأكّد من خلالها على أنّ الفريق عبد الفتّاح السّيسي، وزير الدفاع، كان يدفع فريق المخترعين دفعا كي يحقّقوا هذا الإنجاز الطبيّ الفريد ويسبقوا بالتّالي دولا وشركات ومؤسسات طبية في الشرق والغرب...!!

الجهاز من إنتاج السّيسي إذن...!!!

والوظيفة هي الكشف عن فيروس الإيدز ومعالجته، أمّا النتيجة في الشّارع المصريّ والعربيّ ومواقع التّواصل الاجتماعيّ فهي كمّ هائل من السّخرية والتّندّر خاصة من التقرير الدّعائيّ الذي بثّه التلفزيون المصريّ وظهر فيه بعض من قالوا إنّهم مرضى بالإيدز وتخلّصوا منه إلى الأبد.

السّخرية ركّزت على الفريق السّيسي بطبيعة الحال، وقال بعض المتهكّمين إنّ الرّجل سيرشّح نفسه لجائزة نوبل في الطبّ وسيظفر بها، خاصة بعد أن حصل على رتبة المشير دون خوض أيّ حرب حقيقيّة أو تحقيق انتصار عدا الانتصار

على الرّئيس المنتخب محمّد مرسي، وحتى هذا النّصر ما زال موضع شكّ، فنتائجه الكاملة لم تتحقق بعد.

التّرويج لهذا الاختراع المزعوم يأتي في سياق حملة تلميع السّيسي... ولنا أن نتساءل إن كانت أوامر الرّجل وراء جميع حملات التّمجيد والتّعظيم التي ترفعه إلى درجات أعلى من البشر، وتضعه أحيانا في مصافّ الأنبيّاء المخلّصين...؟؟

ولعلّ الجواب أنّه لا يفعل ذلك بالضّرورة.. لكنّ المؤكّد أنه لا يرفض مثل هذه المبالغات والسّخافات، وإلا لَمَا قرّب إليه جحافل النّفعيّين والمتملّقين والانتهازيّين الذين يحسنون الرّقص والتّصفيق في الوقت المناسب.

في زمن الزّعيم جمال عبد النّاصر تطوّع أديب بتضخيم قصّة، أو مسوّدة رواية، وتوسيعها حتى صارت سِفرًا عظيما...!!

وظهرت على رفوف المكتبات باسم الزعيم...!!

لقد كانت محاولة أدبيّة لعبد النّاصر في شبابه، لكنّ المتملّقين أبوا إلا تحويلها إلى عمل أدبيّ ضخم.. كيف لا يكون الزّعيم أديبا...؟؟

وكتب القذّافيّ مجموعة قصصيّة، وخلال السّنوات الأخيرة من حكمه دأب على تقديم نفسه في صورة المفكّر، وتظهر في الخلفيّة، خلال أحاديثه التّلفزيونيّة، مكتبة زاخرة بألوان المعارف والفنون...!!

وحول تلك المجموعة القصصيّة كتب الأديب النّاقد الدّكتور جابر قميحة سلسلة مقالات حملت عنوان: (إلاّ القصّة يا مولاي).. وقد استوحى العنوانَ من حوار متخيّل بين الشّاعر النّابغة الذّبيانيّ والنّعمان بن المنذر ملك الحيرة..

وتدور الفكرة حول تتلمذ الملك على الشّاعر في فنون كثيرة، وفي الأخير قال له: علّمني الشّعر.. وهنا صاح النّابغة: إلاّ الشّعر يا مولاي...!!

أيّها السّادة في مصر، وفي دول أخرى مشابهة: نقسم لكم بأغلظ الأيْمَان أنّنا شَبَبْنا عن الطّوق وبلغنا سنّ الرشد وتأثّرنا بالعولمة الإعلاميّة بجميع تجلّياتها وإيجابيّاتها وسلبيّاتها على حدّ سواء..

وعلى هذا الأساس ابحثوا لكم عن أساليب أخرى جديدة.. تعلّموا فنون الإبداع في مخاطبة الشّعوب وإقناعها، واحرقوا أرشيف التّجارب القديمة أو أَحْكِموا عليها أبواب الخزائن إلى الأبد.. الناس يتغيّرون، وأنتم أيضا: تجدّدوا أو تبدّدوا..

وعودة إلى السّيسي لنلغي عقولنا بعض الوقت، مرة أخرى، ونقرّ بأنّه حقق إنجازات في الانقلاب على رئيس منتخب، وخاض حربا على الإرهاب كما يقول، وطار إلى موسكو ليلعب على ورقة التناقضات الدوليّة.. واصل كما يحلو لك.. إلا عالم الطبّ يا مولاي.

2014-03-02

12

مصر.. المسيرة العكسيّة

قال الطّفل في رسالته: أعرف أنّكم لن تصدّقوا كلامي، لكنّ ما حدث أنّني أطلقتُ سراح عصفور كنت أحبسه في قفص وأهتمّ به، فطار وطار ثمّ عاد إليّ ودخل القفص من جديد.. هكذا أرسل الطفلُ البريء متفاعلا مع برنامج الأطفال الجزائريّ الشّهير في السنوات الخوالي.. وقرأتْ مقدّمةُ البرنامج، ماما نجوى، الرّسالة وعلّقت عند جملة (لن تصدّقوا كلامي) بقولها: ونحن نصدّقك.

تفاعلُ الطّفل جاء بعد متابعته لحلقات تمثيليّة إذاعيّة تتحدّث عن العصافير وضرورة الإحسان إليها وعدم حبسها لأنّها مخلوقات تعشق الحريّة والعيش في الأجواء المفتوحة حيث السعي اليوميّ لتحصيل القوت، لا الانزواء في الأقفاص ولو كانت ذهبيّة وتوفّرت فيها متطلّبات حياة الطّيور من ماء وحَبّ.

أذكر جيدا ذلك اليوم، وهو يوم عطلة، وأذكر إلى الآن بعض تفاصيل وحكايات ذلك البرنامج الأسبوعيّ الذي كنّا نتابعه بشغف، فقد كانت الإذاعة حينها هي سيّدة الإعلام والاتّصال بالنّسبة لمنطقتنا القرويّة، بينما اقتصر ظهور التلفزيّون على بعض الموسرين من القرويّين والفلاّحين فقط، فضلا عن معلّمي المدرسة الابتدائيّة.. ولم يكن ذلك التلفزيون ملوّنا بطبيعة الحال، كما أنّ الخيار واحد فقط: القناة الوطنيّة التي ينتظرها النّاس بعد الزّوال لتودّعهم قبل منتصف اللّيل.

وكما صدّقت (ماما نجوى) ذلك الطّفل، صاحب الرّسالة، نجد أنفسنا اليوم مجبرين على تصديق مظاهر أخرى شبيهة، لكنّ أبطالها لا ينتمون إلى عالم الطّيور بشتّى ألوانها وأشكالها، بل هم بشر يمشون على الأرض ويأكلون الطّعام بأيديهم ولهم عقول تحملها رؤوس فوق الأكتاف، وربّما ادّعت هذه العقولُ المعرفةَ والفطنةَ أكثر من أيّ جنس بشريّ على سطح هذه المعمورة.

نعم.. نحن على يقين في هذه المرحلة التاريخيّة أنّ شعوبا، أو نسبة معتبرة بالأحرى، تعشق العودة إلى الأقفاص والاستمتاع بحياة القيود والأغلال، وأكثر من ذلك تغنّي وترقص عندما يظهر جلاّدُها، أو وليّ نعمتها كما يدّعي هو وتدّعي هي...!!

أكره الضّحايا الذين يحبّون جلاّديهم.. عبارة تُنسب إلى الفيلسوف الوجوديّ الفرنسيّ جان بول سارتر.. ذلك المفكّر الذي يعتقد أنّ النّاسَ أحرارٌ تماما إلاّ أنّهم يخشون الاعتراف بهذه الحريّة وتحمّل المسؤوليّة الكاملة تجاه سلوكهم.

لا يسمح المقام بالحديث عن حدود الحريّة وعلاقتها بالمعتقدات وحقوق الآخرين، فبيت القصيد هنا هو الإحساس بالحريّة وقيمتها إلى درجة جعلت الفيلسوف الفرنسيّ يعلن كرهه للضّحايا الذين يحبّون جلاّديهم..

بينما لم يعبّر عن كرهه للجلاّد، لأنّ هذا تحصيل حاصل عند عقلاء البشر قديما وحديثا، في الشرق والغرب، وبين العرب والعجم، وحتى الروم والإغريق والقوط والمايا في الأزمان الغابرة.

ومع إعجابي بقول سارتر، فإنّني أدعو إلى الشّفقة على الضّحايا الذين يمجّدون الجلاّدين ويرفعون صورهم ويدافعون عنهم في المسيرات والتظاهرات والتّجمّعات الانتخابيّة والسياسيّة ويعلّقون صورهم في البيوت والمكاتب والمتاجر، أو يثبّتونها على شاشات أجهزة الكمبيوتر والهواتف النقّالة..

يا إلهي: رحمتك بهؤلاء الأشقياء البؤساء..

ماذا لو عاد الزّمن إلى الوراء وإلى عقود ازدهار الحركة الرومانسيّة في الأدب الفرنسيّ على وجه التحديد...؟؟

ربّما تخلّى فيكتور هوجو عن أبطاله في رواية البؤساء الشّهيرة واستبدلهم بعدد من الشّخوص المريضة الهزيلة التي نراها ونتابعها في عالم العرب اليوم.

سوف يندهش الأديب الرومانسيّ هوجو بالمشهد المصريّ الرّاهن عندما يعاين عددا كبيرا من البؤساء وإن ركبوا أفخم السّيارات وارتدوا أجمل الثّياب

وربطات العنق، فضلا عن الآخرين من أصحاب البؤس المركّب والمضاعف.. فلا هم في العير ولا في النّفير، فأوضاعهم المعيشيّة صعبة بما يستعصي وصفه، بينما ترتفع الأيادي وتهتف الحناجر بحياة من نسج خيوط ذلك المشهد المأساويّ.

إنّه مشهد تأييد المشير عبد الفتّاح السّيسي وهو يعلن ترشّحه للرّئاسة ضاربا عرض الحائط بوعوده السابقة وتأكيداته على أنّ بينه وبين الرّئاسة الملايين من السّنوات الضوئية، فهي في حكم المستحيل لأنّه جاء منقذا لإرادة الشّعب على حدّ زعمه...!!!

وما هي إلا مرحلة انتقاليّة محدودة حتى يردّ للشّعب أمانته ليحكم نفسَه بنفسه ويعود السّيسي، ورفاقه، إلى الثّكنات حيث يخدمون الوطن من تلك المواقع خاصة إذا نادى المنادي من جهة الشرق، حيث إسرائيل طبعا، وليس قطاع غزّة..!!!

لا شكّ أنّ للمشير السّيسي نسبة لا بأس بها من المؤيّدين، وهم بين منتفع انتهازيّ، وخائف من المستقبل والتّغيير لأنه اعتاد حياة الأمان الكاذب ورغيف الخبز ولو كان ممزوجا بالذلّ، وساذج ما زال يعيش عصر الزّعامات الزّائفة والعنتريّات الفارغة التي صنعت الهزائم في العقود الماضية وسوّقتها للجماهير نصرا مؤزّرا، كما حافظت على مستويات التخلّف والتّردي وأمرت الشّعوب بأن تغنّي للإنجازات العظيمة التي أبهرت اليابان وأمريكا وألمانيا...!!

إنهم مرضى الزّعامات وبينهم صحافيون وقادة أحزاب وعلماء ورجال دين مسلمون ومسيحيون...!!

ومع حجم المرارة الذي يشعر به الأحرار ممّا يجري في مصر، أقول لذلك العصفور الذي عاد إلى حياة القفص: هنيئا لك الطعام والشّراب والغناء لسجّانك.. لكن انتبه، فليس من حقّك الاحتجاج على بقيّة العصافير لأنّها فضّلت حياة الحريّة والكرامة والانطلاق من شجرة إلى أخرى دون أدنى قيد أو حتّى شبهة قيد.

لقد فتحت ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر بابا واسعا للحريّة، وقد دخله أغلب المصريين في البداية، وبعد فترة من انطلاق المسيرة نحو الأمام عاد البعض إلى ممارسة هواية النّظر إلى الوراء، فتاقت النّفوس المريضة إلى القضبان والكرابيج ووجوه السّجّانين القاسية وكلماتهم النّابية.. ومن هناك بدأت المسيرة العكسيّة.

صدق من قال: يستطيع الأحرار تحطيم أبواب السّجن، لكنّهم لا يستطيعون إرغام العبيد على الخروج منها.

2014-03-30

13
كلّنا مصريّون

كتب إليّ قائلا: إلى أن ينفخ إسرافيل في النّاقور تبقى الحقيقة المصريّة تمشي بين النّاس: أرضهم من ذهب ونساؤهم لعب ورجالهم مع من غلب يجمعهم الطّبل وتفرّقهم العصا.. ولكي لا نكون ملكيّين أكثر من الملك، أُحيلك إلى مقال الفيلسوف الرّائع زكي نجيب محمود الموسوم بـ: الكبش الجريح.. ساعتها يكون (شهد شاهد من أهلها).. و ما على الرّسول إلا البلاغ.

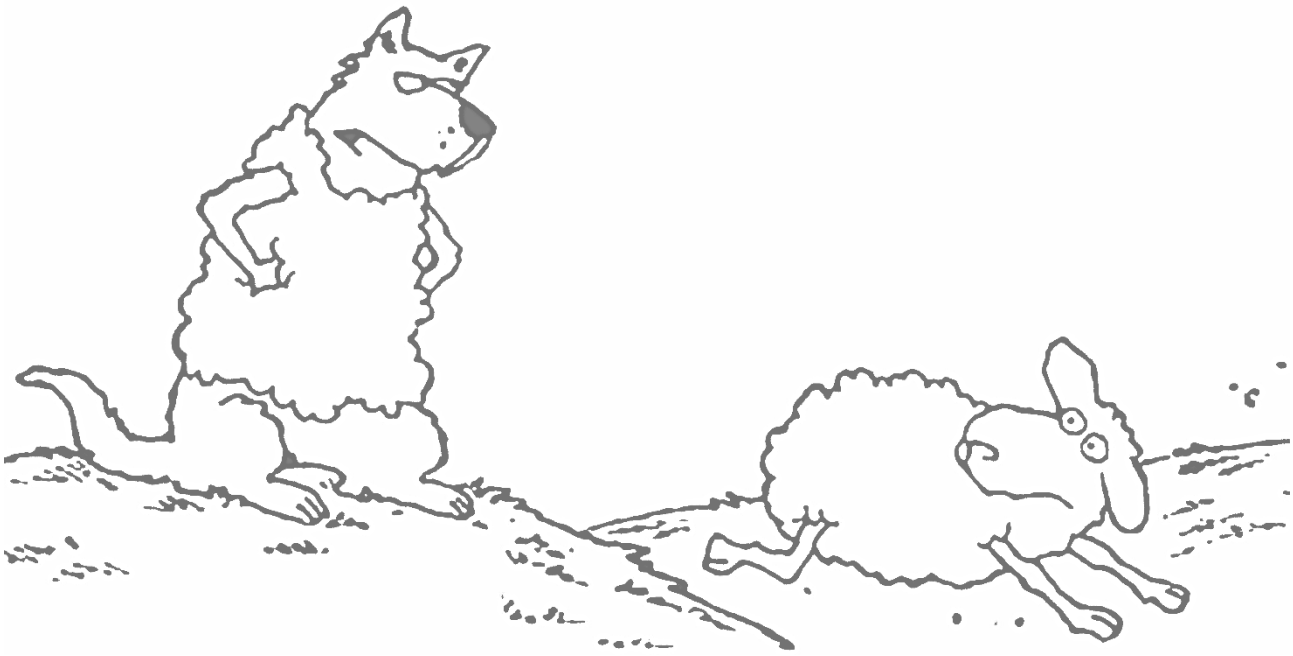

هذا التّعليق أو التّفاعل مع مقالي (مصر.. المسيرة العكسيّة) خَطّه قلمُ كاتب صحفيّ شابّ يداوم بجرأة وشجاعة على كتابة عمود يوميّ في إحدى الصّحف الوطنيّة الصّادرة من الجنوب الجزائريّ.. جرأة قد لا أوافقه على بعض تفاصيلها، لكنّني أغبطه عليها واعتبرها بشائر خير على بلادنا، لأنّ حريّة الكلمة ورفع القيود عن الصّحافة من أمارات التّقدّم إلى الأمام، حتى لو بدت تلك الحريّة وهميّة في نظر البعض، فالعبرة بالنهايات، وهذه الأخيرة يصنعها تراكم البدايات، فكم من نهضة فكر ووعي انطلقت من كلمات قال المتشائمون إنّها صرخة في واد أو نفخة في رماد.. النّهضة في حاجة إلى أقلام جادّة وناقدة للوضع القائم، لأنّ أصحاب المدائح الكاذبة لن يصنعوا شيئا سوى ما يجنونه لأنفسهم.

قرأت كلام الزّميل الشابّ أكثر من مرّة فلم أهضمه، لأنّ نظرتي إلى الشّعوب العربيّة متشابهة، وأتصوّر أنّ الذي يجمعها من العادات وطرائق التّفكير والمزاج أكثر مما يفرّقها، وهكذا لو سوّق شعبٌ نفسَه على أنّ نهاية أمجاد البطولة والفدى قد توقّفت عنده مثلا، فإنّ نقيض هذا الادّعاء سوف يظهر بسهولة ويسر عبر مراجعة سريعة لتاريخ شعب آخر، حيث نكتشف أنّ لديه من صور البطولات والتّضحيات الكثير.

ومع ذلك بحثت عن مقال الدّكتور زكي نجيب محمود، ولم أكابد أيّ مشقة في العثور عليه، فشكرا لمن أتحف أبناء آدم وحوّاء بعالم الأنترنت وخدماته المتعددة.. شكرٌ أقلّد فيه زميلا سودانيّا انقطعت الصّلة به سنوات عديدة فلمّا عثر على اسمي في الفيسبوك كتب إليّ معنونا رسالته بـ: شكرا للفيسبوك.

قرأت عن (الكبش الجريح) وكان المقال ممتعا، ففي البداية وثب الذّئب على الكبش فمزّق منه وانتهش.. وفرح الذّئب لأنّ في طبيعته أن ينهش ويمزّق وكذلك فرح الكبش، ولم أكن أعلم، يقول الدكتور زكي، أنّ في طبيعته ما يستطيب النّهش والتّمزيق.

يواصل الدكتور.. قال الإنسان: إنّي موجود لأنّي أفكّر، فكان بقوله هذا فيلسوفا، وقال الذّئب: إنّي موجود لأنّي آكل وأفترس، فأثبت أنّ الفلسفة ليست وقفا على الإنسان.. يقع اللّوم والتّثريب على صاحبنا الخروف الذي استمرأ ضرب المخالب واستلذّ وقع الأنياب، فدماؤه تسيل وعلى شفتيه ابتسامة...!!

وهكذا لا يرى صاحب المقال أيّ جدوى في الدفاع عن الخروف، بل من العبث أن يرتقي المنبرَ في سبيله خطيبٌ، لأنّ عدوان الذّئب يصادف في نفسه القبول..

فليعدّل الخروفُ من طبيعته أولا، وبعد ذلك فليكتب الكتّاب وليخطب الخطباء .

ثم يتّجه الكاتب بعد ذلك إلى لغة أكثر وضوحا.. قلتُ للخروف: هلاّ أخذتك النّخوة يوماً فغضبت غضبة الكرام التي لا تقف عند حدّ اللغو والكلام...؟؟

قال: كيف عرفتني خروفا وقد تخفيّتُ في ثياب الرجال...؟ قلتُ: عرفتك في مائة موضع وموضع، أسوق لك منها مثالين.

ويستعرض الكاتبً المثالَ الأولَ ويتحدث عن خطاب رفعه الخروف، الرّجل، إلى سيّده الذّئب وكيف تراجع أكثر من مرّة وهو يخطّ الكلمات

الأولى.. كتب (إلى حضرة الذّئب)، وكتب أحسن منا وأحسن ولم يعجبه ذلك حتى اطمأنّت نفسه إلى عبارة (سيّدي ومولاي حضرة صاحب المجد ذئب الذئّاب وملك الغاب)، وهنا اغتبط الخروف وافترّت شفتاه عن ابتسامة.

يفصّل الدّكتور زكي في المثال الثّاني، وله علاقة باللّغة، ويتفنّن فيه ثم يختم المقال بهذه الكلمات المعبّرة: (قل في ذلك ما شئت يا خروف، قل إنّها وداعة الحُمْلان، أو قل إنّه التّواضع، وإن في التّواضع عند الله رفعة الشّأن، أو قل إنّه كرم النّفس، وليس الكرم بغريب على بني القطعان .قل في ذلك ما شئت يا خروف، لكنّه عندي علامة لا تخطيء على ما في نفسك من ذلّ العبيد، الذي يستمرئ ضرب المخالب، ويستلذّ وقع الأنياب).

وبعد.. ما الذّي يريده صاحبي من الإحالة على مقال الفيلسوف زكي نجيب محمود.. لعلّه يقصد العبارات الأخيرة و(ذلّ العبيد) بالتحديد، وربّما قابله مع كلامي في آخر مقالي سابق الذّكر حينما ختمته بعبارة مقتبسة: (يستطيع الأحرار تحطيم أبواب السّجن، لكنّهم لا يستطيعون إرغام العبيد على الخروج منها).

الحديث السابق كان حول جمهوريّة مصر العربيّة، قلب العروبة الذي يُفترض أن يكون نابضا باستمرار..

لكنّ العين لم تكن على شعب مصر وحده، لأنّنا جميعا من المحيط إلى الخليج في حاجة إلى يقظة وحريّة ولو بدت بعض الشّعوب راضية بأوضاعها عندما قايضت الحريّات وأنظمة الحكم الحديثة بالرّفاهية والرّخاء...!!

كما لا أقصد بالتّحديد أيّ شكل من أشكال التّغيير، أو كسر القيود عبر الثّورات والانتفاضات بالضّرورة.. لكنّ المقصود أنّ الفرصة توفّرت للجميع حكّاما ومحكومين، ليبادروا إلى التّغيير فيتحقّق الانعتاق للطّرفين: الشّعوب من القيود، والحكّام من الغرور المقزّز الذي أساء إليهم وصنع منهم أمثلة للتندّر والسّخرية عند وسائل الإعلام الدوليّة.

إنّنا في (الهمّ شرق) خاصّة في ميدان اللّغة، وهو المثال الثّاني الذي ساقه الدكتور زكي نجيب محمود، فالإعجاب المَرَضيّ بلغة فولتير عندنا في الجزائر لا تخطئه العين، وانتشار لغة شكسبير على حساب الضّاد واضح للعيان في بلدان الخليج العربيّة.. فلا يحدّثّن شعبٌ نفسه بأنّه الأفضل والأقوى والأرقى.. فما زال بيننا وبين مراتب التقّدم مسافات طويلة.. وإن كان في الوسع اختصارها.

2014-04-13

14
ارحموا أنفسكم

دخل موسوعة غينس للأرقام القياسيّة بكلّ جدارة واستحقاق بعد أن تجاوزت أحكام الإعدام التي أصدرها الألف ومائتين.. كما أصدر أحكاما هي الأولى من نوعها في تاريخ القضاء المصريّ حين حكم على متّهمين بالتّظاهر والتّجمهر بالسّجن ما بين سبعة وخمسين وثمانية وثمانين عاما مع أنّ الحدّ الأقصى للعقوبة في قانون التّظاهر لا يتجاوز الخمسة وعشرين عاما، وبشرط تلقّي المتظاهر المتّهم أموالا من الخارج.

في أيّ مستوى من مستويات الجنون يمكن تصنيف مثل هذه الأحكام التي أصدرها مؤخرا القاضي المصريّ، غريب الأطوار، سعيد يوسف صبري...؟؟ وإن لم تكن جنونًا، فأيّ قدر من الاستهتار وصل إليه القضاء المسيّس في مصر...؟؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فأيّ قذارة سياسيّة يمارسها الانقلابيّون وهم يرفعون السّقف إلى هذا الحدّ فيرهبون الأبرياء ويُدخلون ملايين المصريّين في متاهات القلق والانتظار، وعندما يتحقّق حلم المشير السّيسي في الرّئاسة يتكرّم بالعفو العامّ فيدرك النّاس رحمة ورأفة العسكريّ الرومانسيّ...!! ولأنّ البعض قد صرّح بأنّ الرّجل فوق البشر، فعندها قد يفتكّ لقب المسيح المخلّص بكلّ جدارة.

تتواصل غرائب القضاء المصريّ، ما بعد الثّالث من يوليو، حين تصدر أحكامُ إعدام المئات في جلستين: الأولى لم تستغرق سوى عشرين دقيقة، أمّا الثّانية التي صدر فيها الحكم فكانت دون متّهمين ولا محامين، وهكذا أصدر القاضي (النّزيه) حكمه دون الاستماع إلى دفاع أو شهود ولم يكلّف نفسه حتى فضّ أحراز القضيّة، واكتفى بشاهد واحد هو ضابط شرطة يقول دفاعُ المتّهمين إنّه لم يكن موجودا يوم الحادث الذي يعتقد القاضي أنه يوجب إعدام المئات...!!

تتواتر وتتصاعد التّنديدات الإقليميّة والعالميّة بأحكام الإعدام الجزافيّة في مصر، وتتحرّك وجوه انقلابيّة بثقة عاليّة، على ما يبدو، وتدافع عن القضاء المصريّ وشموخه ونزاهته التي لا يرقى إليها الشكّ...!!

وأكثر من ذلك دولة المؤسّسات والديمقراطيّة التي تنفصل فيها السّلطات بعضها عن بعض، وهكذا فالأحكام القضائيّة في مصر، بعد الانقلاب، لا

تشوبها شائبة لأنّها بعيدة عن أيّ تأثير سياسيّ أو أيديولوجيّ.. هكذا يتشدّق هؤلاء...!!!

نعم.. إذا ذهب الحياء أباح الناسُ لأنفسهم أيّ شيء..

وفعلا دعت الخارجيّةُ المصريّة إلى احترام استقلاليّة القضاء المصريّ ردّا على سيل الانتقادات والاتّهامات التي انطلقت من عواصم عربيّة وإسلاميّة وأوروبيّة، وحتى من واشنطن والأمم المتّحدة..

وقال المتحدّث باسم الخارجيّة المصريّة متبجّحًا بأنّه لا يستطيع التعقيب على أحكام القضاء وأنّ مبادئ الديمقراطيّة "تتحدث عن ضرورة الفصل بين السّلطات"..

آه ثمّ آه.. ما أحوجنا إلى وسام عالميّ للكذب، يُمنح كلّ عام لأكذب كذّابي العالم.. ولا أشكّ أنّ الفائز الأوّل به سيكون انقلابيّا مصريّا لأنّ العالم تابع الانقلابيّين وهم يكذبون ثم يصدقّون أكاذيبهم، حتى انتقلوا إلى مرحلة تعليم الدّول الديمقراطيّة معنى استقلال القضاء والفصل بين السلطات...!!

صدّقنا أنّ الإخوان إرهابيّون ظلاميّون، وأنّهم خطر على سكان العالم أجمع وحتى على بقيّة كواكب المجموعة الشّمسيّة، كما أنّ وجودهم هو الذي تسبّب في ثقب طبقة الأوزون...!!

لكنّ القضاء المصريّ (النّزيه) ينتقل إلى حظر أنشطة حركة السّادس من إبريل الليبراليّة...!!!

ألا تكون النّزاهة إلاّ في مسار الانقلابيّين وخدمة مشروعهم من خلال الأحكام المتتالية ضدّ معارضي السّيسي...؟؟

إنّنا في زمن الرّداءة فدعونا نصدّق أنّ القضاء المصريّ نزيه أكثر من القضاء البريطانيّ، وما على البريطانيّين سوى التّتلمذ على يد المصريّين في هذا الميدان...!!

وعندها يمكن تفسير أحكام المستشار سعيد يوسف صبري الغريبة على أنّها سعي محموم وراء الشّهرة لا أكثر، ولن يبتعد بالتّالي عن ذلك الأعرابي الذي بال في بئر زمزم ليدخل التّاريخ، وقد دخل التّاريخ فعلا لكن من أبوابه القذرة، وهاهو حضرة المستشار يتّبع الخطوات نفسها...!!

لا شكّ أن الفئة المغامِرة في مصر محدودة العدد مقارنة بالعدد الكبير من العقلاء حتى من الذين أيّدوا الانقلاب بشكل أو بآخر أو الذين فضّلوا الانزواء والانتظار حتى ينجلي غبار المعركة.. وعليه فإنّ المسؤوليّة بكاملها على عاتق هؤلاء العقلاء.

مسؤولية دقّ ناقوس الخطر للجميع، وتذكير النّاس بأنّ الأفكار لا تُقاوم بالسّلاح والسّجون والإعدامات فقد جُرّبت في السابق وكانت نتائجها عكسية، وفوق ذلك فإنّ من جرّبها كان أكثر قوة ولم يكن بين يدي معارضيه يومها إعلام ولا هواتف جوّالة ومواقع أنترنت وتواصل اجتماعيّ وغيرها.. كحال النّاس الآن.

لقد جرّب الزّعيم عبد الناصر اعتقال خصومه السياسيّين وإعدام الكثير منهم، وحشد في سجونه ومعتقلاته الآلاف سنوات طويلة، وبلغ توجّس المصريّين درجة تستعصي على الوصف من جرّاء بطش الأمن والمخابرات بالإخوان المسلمين وملاحقتهم وتتبّع تحرّكاتهم وحتى شبكاتهم الاجتماعيّة التي

أسّسوها لدعم أسر المعتقلين في أكلهم وتعليم أولادهم وتوفير مبالغ لشراء الأقلام والكراريس...!!

لقد بلغ الخوف درجة عظيمة جعلت المصريّ يصرخ إذا خاصمته زوجته: ماذا أفعل..؟ أرمي نفسي من الشبّاك...؟ أحزّ رقبتي بسكّين...؟

أخرج إلى الشّارع وأصيح الله أكبر ولله الحمد...؟؟ ..

نعم.. هل يخرج أمام الملأ ويردّد شعار الإخوان المسلمين.. وقطعا ستسمعه الآذان المنتشرة في كلّ مكان، ولن يشعر إلا عند دقات الباب العنيفة وقت الفجر، فينطلق بعدها إلى عالم السجون الحربية التي وُصفت بأنّ الدّاخل إليها مفقود والخارج منها مولود...!!

تغيّر الزّمن ومات الزّعيم عبد الناصر، رحمه الله، وعاد الإخوان من جديد.. فارحموا أنفسكم يا عقلاء مصر ولا داعي لتجريب المجَرّب.. الفكرُ لا يُحارب إلا بالفكر.. نافِسوا الاخوان فيما برعوا فيه.. وتقرّبوا من الشّعب كما تقرّبوا إليه لتسحبوا من تحت أرجلهم البساط.. أمّا ما يقوم به السّيسي وزمرته فهو أشبه بمضغ الهواء أو الحرث في الماء.

2014-05-04

15
السّيسي وبشّار

لقاءات المرشّح الرّئاسي عبد الفتّاح السّيسي مع جماهير الشّعب التي تعشقه، كما يُشاع، جاءت في أغلبها من خلال الوسطاء، فمرّة مع رؤساء تحرير عدد من الصّحف، وأخرى عبر حوار مع قناة تلفزيونيّة، وثالثة مع جمع من النّسوة نيابة عن منظّمات وجمعيّات بنات حوّاء في مصر.. وهذه الأخيرة كانت الدّليل الأقوى على أنّ الرجل لا يملك أيّ برنامج انتخابيّ سوى زيّه العسكريّ السّابق.

المتحدّثون والكتّاب والنّشطاء الرّافضون للانقلاب اقتنصوا هذه المرحلة بمهارة وذكاء وتوسّعوا في تعليقاتهم وتحليلاتهم وقراءاتهم فيما وراء كلام المشير عبد الفتّاح السّيسي وحتى قسمات وجهه وابتساماته وإن كانت صادقة فعلا، أم أنّ للرّجل مواهب معتبرة في التّمثيل والوقوف على المسارح وذرف الدموع...؟؟

تابعتُ تقريرا حول لقاء المشير السّيسي بذلك الجمع النسويّ، وقد أورد التقريرُ بعض ما دار في اللّقاء ومنه صيحات السّيدات والأوانس الحاضرات وهنّ يعبّرن عن حبّهن للرّجل الذي اتّجه نحو الدّعابة ومن ثمّ الحديث عن العلاقات بين الأزواج والغيرة وما قد تخلّفه من مشاكل في الأسر المصريّة.

وعلى العموم كانت العاطفة هي المهيمنة على ذلك اللّقاء حيث الآمال والطّموحات وكيف سينقل الرّئيسُ القادم مصر إلى مصافّ الدّول المتقدّمة، ليناقض نفسه في مواضع أخرى عندما يصرّ على إقصاء طرف فاعل في المعادلة السياسيّة...!!

وهكذا يبرهن على جهله المركّب بقواعد النّهضة التي قامت عليها دول أخرى، وأوّلها قِيَم الحوار والوفاق ولمّ الشّمل والطّلاق البائن مع التّخوين والإقصاء.

دار الحديث حول لقاء السّيسي بالنّساء فاستشهد أحد الحاضرين، من أهل اللّغة والأدب، بالشّاعر العربيّ، الفارسيّ الأصل، بشّار بن برد.. وهو شاعر جيّد التّشبيه، ولا شكّ أنّ غيره كثير ممّن يمتلك مثل هذه القدرات، لكنّه وُلد كفيفا ولم يشاهد الدّنيا بأمّ عينيه ومع ذلك برع في إخراج عدد من الصور التي عجز عنها المبصرون...!!

وممّا جاء في إحدى الموسوعات عن بشّار بن برد: (قال الجاحظ في البيان والتبيين: كان بشّار شاعرًا خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المتفنّنين في الّشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه. وكان الأصمعيّ يعجب بشعره لكثرة فنونه وسعة تصرّفه، على أنّ لبشار أشعاراً دون سائر شعره، وقد أزرت به هذه الأشعار عند بعض نقاّد الشعر، حتى إنّ إسحاق الموصليّ كان لا يعتدّ ببشّار ويقول: هو كثير التّخليط وأشعاره مختلفة).

ومن أمثلة تلك الأشعار التي تُوصف بأنها دون شعر بشّار في القوّة ما قاله في جاريته: رَبَابَة ربّة البيت، تصبّ الخلّ في الزّيت، لها عشر دجاجاتٍ، وديك حسن الصّوت.

وقد جاء المنكرون والمستهزئون إلى بشّار في حياته وكان السّؤال واحدا وإن تعدّدت الصيّغ والأساليب: كيف لشاعر في منزلة وبلاغة بشّار أن ينشد أبياته في ربابة وهو الكفيف الذي يقول:

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

إنّه الشّاعر المبدع الذي لم ير في حياته كوكبا ولا سيفا ولم يفرّق بين ضوء نهار ولا سواد ليل، لكنّه ينطق بذلك التّشبيه البليغ...!!

لقد صار بشّار أضحوكة عند بعض المتعجّلين عندما مدح جاريته، لكنّ الحقيقة كانت في صدر الشاعر الذي لم يكن أعمى في فهمه للحياة ومراتب النّاس ومشاعرهم...؟؟

شرح بشّار الأمر للمعترضين من زاوية أنّه خاطب أصنافا من النّاس بما يعرفون من اللّغة والبلاغة على شاكلة (كأنّ مثار النّقع...).. أمّا ربابة فهي جارية لا تهتمّ إلا بما حولها، وهو لا يشتري البيض من السوق ففي دجاجاتها الخير والبركة، وهكذا أكرمها بذلك المدح وأنّها ربّة البيت ولها عشر دجاجات وديك حسن الصوت.. ولو سُئلت الجارية أيّ البيتين أجمل: (قِفَا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل...)، و(ربابة ربّة البيت...)، لاختارت البيت الثّاني الذي تحدّث عنها وعن أحوالها المنزلية.

في مجلسنا استدلّ صاحب اللّغة والأدب ببيت آخر لبشّار بن برد وهو:

إذا ما غضبنا غضبة مضريّة هتكنا حجاب الشّمس أو أمطرت دمًا

ثم تحدّث عن ربابة وما قاله بشّار فيها، وبعدها تحوّل إلى الحديث عن خطاب السّيسي أمام نسوة مصر اللّواتي حضرن نيابة عن جميع نساء أرض الكنانة، أو هكذا سوّلت لهنّ أنفسهن؛ لأن شرائح أخرى من حرائر بلاد النيل لم يحضرن.. فالمقام لا يسع الجميع، ولا يقبل أيضا أن يحضره الجميع...!!

قال صاحبنا إنّ نوعيّة ذلك الحضور النسويّ وتواضع اهتماماته، حتى لا نتحدّث عن التّفاهة، دفعت المشير عبد الفّتاح السّيسي إلى تلك الرّداءة في الأداء ربّما من باب (خاطبوا النّاس على قدر عقولهم) أو (لكلّ مقام مقال)، بل إنّ وقع كلام السّيسي على جَمْع النسوة المصريّات كان أكبر من وقع مدح بشّار بن برد على الجارية ربابة.

كلام سليم ومقارنة جميلة لكنّها غير مكتملة لأنّ بشّار نزل إلى الجارية مادحا لها ولدجاجاتها وديكها وهو في مقام رفيع من مقامات الشّعر والأدب، لكنّ المشير عبد الفتّاح السّيسي تقمّص دور الحكيم الذي يخاطب النّاس على قدر عقولهم، وهو في الأساس صاحبُ بضاعة مزجاة وحديثُ عهدٍ بالصّنعة السّياسيّة ولا باع له في مخاطبة مختلف طبقات وفئات المجتمع.. فآخر منصب شغله الرّجل قبل الوزارة، في عهد الرّئيس المنتخب محمّد مرسي، هو رئيس المخابرات الحربيّة والاستطلاع، وأوّل منصب في حياته العمليّة بعد تخرّجه من الكليّة الحربيّة هو رئيس فرع المعلومات والأمن بالأمانة العامّة لوزارة الدّفاع.. لكن: عشْ رجباً ترى عجباً...!!

يا لسواد صفحتهم في سجلاّت التاّريخ إذا استمرّوا في استغفال شعب في حجم وعراقة الشّعب المصريّ.

2014-05-11

16
زمن الرّقص

فقط في مصر.. يدعوك للمشاركة في الانتخابات مطرب إماراتيّ، وفقط في مصر يعالج أمراضك المستعصيّة ويقود الاختراعات الطبيّة شخصٌ لم يمارس الطبّ في حياته، وفقط في مصر ترسم خطوط (الإسلام الوسطيّ) ممثّلة إغراء، وفقط في مصر يُعدّ الرّقص الشرقيّ في الشّارع بعد التّصويت معيارا للوطنيّة، وفقط في مصر يعتبرُ المرشّحُ الرئاسيّ أنّ برنامجه سرّ وعلى الشّعب أن ينتخبه إعجابا بهذا البرنامج السريّ.

هذا أنموذج بسيط ممّا تعجّ به مواقع التّواصل الاجتماعيّ حول الانتخابات المصريّة وما يحدث في أرض الكنانة منذ الانقلاب على الرّئيس المنتخب محمّد مرسي وإعلان خارطة الطريق.. صاحب التعليق قال عن المغنّي الإماراتيّ: يدعوك للانتخابات مطرب لا توجد في دولته انتخابات من الأساس لأنّ الحكم بالوراثة، ولم ينتخب حتى رئيس حيّ في حياته...!!

هي سابقة إذن ربّما تسجّل لابن الإمارات حسين الجسميّ في هذا الظّرف بالذّات وبهذه الصيغة، فالمشكلة في التّوقيت والمناسبة، أمّا الغناء لمصر، وعيون مصر، فلا غضاضة فيه، فقد غنّى أبناء العرب لمصر وتاريخها والدّور المنتظر منها، فنهضة مصر هي نهضة الأمّة كلّها وتقهقرها يصيب الجميع من قريب أو بعيد.

يغنّي الإماراتيّ لشيء لا يحسنه ولا يعرف له طعما ولا لونا ولا رائحة، والأسوأ حين يقدّمه بين يدي رجل رفع عقيرته ونادى بأعلى صوته في جهات العالم الأربع أن هلمّوا واشهدوا عليّ فأنا الذي أوقفتُ أول تجربة ديمقراطيّة في مصر، وأنا الذي سجن إرادة الشعب وراء القضبان...!!

يذكّرنا هذا المطرب بالغضب الإماراتيّ الرسميّ بعد تصريحات الرّئيس التونسيّ المؤقّت الدّكتور منصف المرزوقيّ حول مصر ودعوته إلى إطلاق سراح الرّئيس المصريّ المخطوف الدّكتور محمّد مرسي...!!

تصرّفات عجيبة وغريبة بالفعل، لأنّ من السّهل تفهّم الدّعم الماليّ الإماراتيّ للانقلابيّين في مصر بعد أن تجاوزت حكومة محمّد مرسي الخطوط الحمراء الاقتصاديّة وراحت تخطّط لبعث مشروع اقتصاديّ في مدن السّويس وهو

الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر على مكانة دولة الإمارات الاقتصاديّة.. سنقول إنّه الإحساس الطبيعي بالخطر الداهم.

لكنّ ما يصعب تفهّمه هو تلك التشنّجات الدبلوماسية ضد تصريح الرّئيس التونسيّ أو دعوة الشّعب المصريّ إلى انتخاب السّيسي من خلال مطرب إماراتيّ لم يفكّر يوما في شيء اسمه انتخابات في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة التي قايض شعبها الديمقراطيّة بالرخاء والعيش الرغيد...!!

المفارقة أنّ مبادرة المطرب الإماراتيّ جاءت في وقتها المناسب لتضع بين يدي المناوئين للسّيسي دليلا إضافيّا ملموسا على أنّ ما يحدث بعد الانقلاب هو مجرّد رقص وغناء، فعندما نقارن المشاهد الواردة في (الكليب) مع الطّابع العامّ الذّي ميّز حملة المرّشح العسكريّ عبد الفتّاح السّيسي سوف ندرك أنّ هناك تطابقا بين الأمرين؛ فالرّقص هو القاسم المشترك في التّظاهرات الشّعبيّة، ومشاهد الأغنيّة جاءت راقصة وكأنّ الشّعب المصريّ لا يحسن سوى الرّقص...!!

مع أنّ مناسبة الانتخابات هي فرصة للتّعبير عن الرّغبة في الإنجاز والتّحدي والنّجاح والعمارات الشّاهقة والأراضي الزراعيّة والشّباب الرياضي القوي.. وهلمّ جرّا..

إنّه زمن الرّقص بامتياز.. عسكريّ يخلع لباس الخدمة ويستقيل من وزارة الدّفاع ثمّ يرشّح نفسه، ويخوض حملة انتخابيّة بلا برنامج واضح سوى الكاريزما الشّخصيّة وإشاعات الحاشية بأنّه رجل المرحلة ومرشّح الضرورة...!!

ثم يعلو صوت المعركة: المعركة ضد الإرهاب...؟؟

لتعود مصر سنوات طويلة إلى الوراء عندما كان السّاسة يخوضون لعبة (لا صوت يعلو فوق صوت المعركة).. المعركة مع إسرائيل طبعا، حين حصد العرب عددا من الهزائم المتوالية...!!

كلّ دولة ناجحة في عالم اليوم بدأت برؤية محدّدة المعالم وقابلة للقياس وهكذا يزداد النّجاح ويتراكم...

أما المرّشح الأقوى حظّا في مصر فقد أشبع النّاس كلاما وتحدّث عن (رؤيا) فقط.. وهذه الأخيرة في المبنى والمعنى تعني الأحلام التي نراها خلال النّوم أو حتى في اليقظة...!!

الأحلام دون خطط وبرامج واضحة وقابلة للقياس هي بضاعة الضّعفاء والمخادعين والسياسيّين الفاشلين.

إنّ إعادة إنتاج النّظام المصريّ القديم حيلة لن تمرّ إلا على نسبة ضعيفة من أبناء الشعب المصريّ، وحتى لو سكت الكثيرون أو جنحوا إلى الحياد فإنّ الأيّام القادمة لن تكون في مصلحة الانقلابيّين، لأنّ المقدّمات التي ظهرت في بداية المشهد لن تؤدي إلاّ إلى النّتائج السابقة التي عرفها المصريّون طوال عهد حسني مبارك.. فالتغيّير لن يتحقّق إلا بعد التغيّير، وما حدث بعد الانقلاب يدلّل بوضوح على وجهة القوم الواضحة: العودة إلى القديم.

في الحالة المصريّة وغيرها تلقّى النّاس كميّات ضخمة من التخويف بالإرهاب والفوضى وحتى الجوع، وتطوّع إعلاميون وفنّانون وغيرهم لتشويه صورة أيّ معارضة تحمل مشروعا حقيقيّا للتغيّير.. ومع ذلك لن يستتبّ الأمر لهؤلاء لسبب بسيط وهو ازدياد تأثيرات عاصفة العولمة الإعلاميّة على بلداننا مما سيوفّر

معلومات جديدة باستمرار ويحمل الشّعوب على التّأمّل والمقارنة ومن ثمّ التفكير في أحوالها الرّاهنة.

إنّ الشّعوب، أو النّخب الشّابّة على الأقل، تابعت صور رئيس الوزراء البريطانيّ إلى جانب المواطنين على متن الميترو وهو في طريقه إلى عمله.. كما تابع الشّباب صور رئيس الوزراء الهولنديّ وهو يمتطي دراجة هوائية في طريقه إلى مكتبه، وأكثر مما سبق صور رئيس وزراء دولة إسكندنافية وهو يقود سيّارة أجرة، في فترة المساء، ليتعرّف أكثر على مواطنيه، والأخطر هو حال رئيس الأورغواي الذي تولّى الرّئاسة عام ألفين وعشرة وظلّ يعيش في منزل صغير يقع على طريق ترابيّ ويستعمل سيّارة قديمة ويتبرع بتسعين في المائة من راتبه ويبيع الزّهور التي يزرعها في حديقة المنزل كأيّ مواطن عاديّ.. قال إنّه يفضّل حياة الأغلبيّة البسيطة التي انتخبته...!!

فإلى متى ستظلّ شعوبنا في معزل عن التّفكير في رؤساء ومسؤولين من هذا النّمط...؟؟؟

2014-05-25

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
المقدّمة	7
جريمة قتل الجنين.. ما أبشعها	11
مصر .. كلّ إناء بما فيه يرشح	16
مصر ..الفوضى الخلاّقة	21
الفرعونيّة.. تجليّات معاصرة	26
تونس ومصر.. العنوان والتّفاصيل	31
مصر.. كِذْبَة يونيو	36
مصر وآشتون.. اكتمل المشهد	41
بين مانديلا.. والسّيسي	46
مصر.. متى يكتمل المشهد	51
بين أمريكا ومصر	56
إلاّ الطبّ يا مولاي	61
مصر.. المسيرة العكسيّة	66
كلّنا مصريون	71
ارحموا أنفسكم	76
السّيسي وبشّار	81
زمن الرّقص	86
الفهرس	91

Innocent Skirmishes

Pharaonic...

contemporary revelations

By:

Tahir Amara Ladghem

SAMI

Printing & Publishing & Distributing

EL-OUED, ALGERIA

First edition 2020 AD / 1441 AH

Pharaonic. . .

contemporary revelations

الطّاهر اعمارة الأدغم

لا أدري...

لكنّ ما أتذكّره بوضوح تامّ أنّ الأمر كان فوق طاقتي.. فقد كنتُ، كغيري، أتابع معاول الهدم الوحشيّة وهي تهوي بلا رحمة على تجربة ديمقراطيّة ما زالت في مرحلة الأساسات.. في المرحلة الجنينيّة.. تجربةٌ لم تمثّل أمل المصريّين وحدهم...

إنّها أمل أمّة تتلمّس طريقها في صحراء التّيه منذ عقود طويلة..

ومصر هي أمّ الدنيا، وهي قبل ذلك أمّ هذه الأمّة..

ISBN:978-9931-650-99-7

تصميم سامي